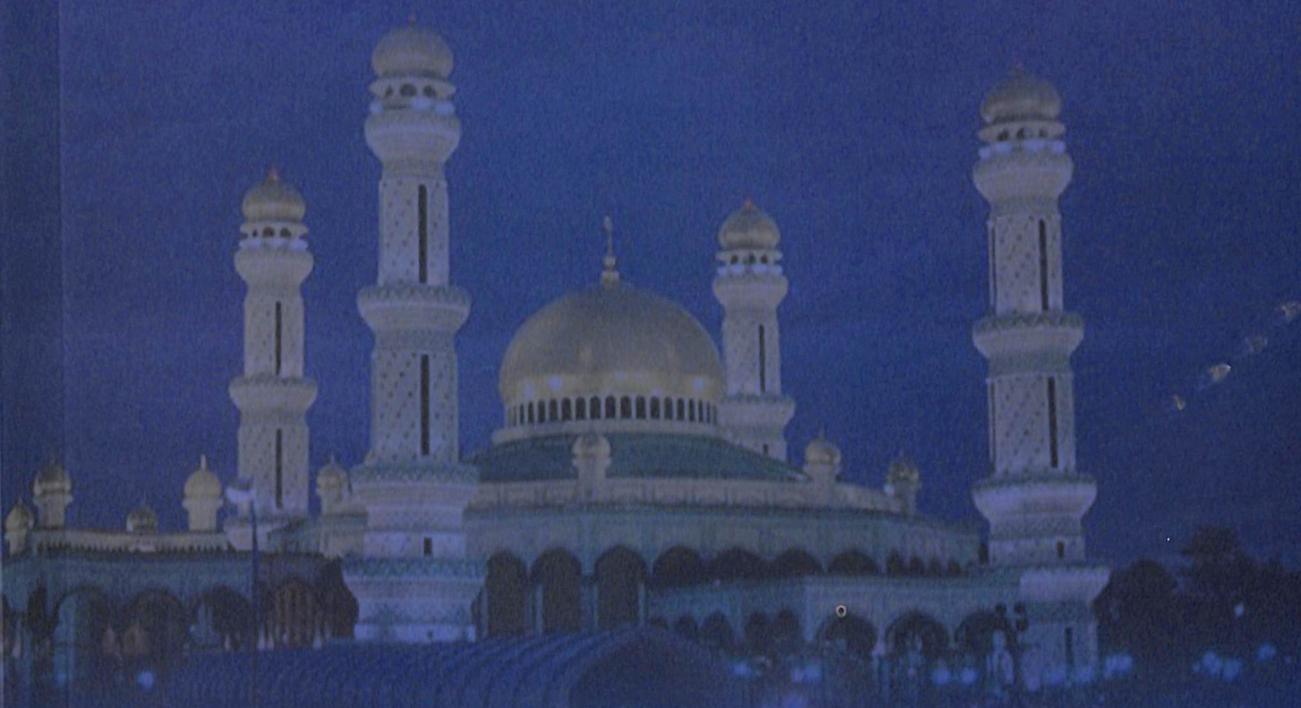


من روائع الفصل في تضحيات الصحابة

إبراهيم النعمة



من روائع القصص في تضحيات الصحابة



دار القرآن، النشر والتذكرة

العبدلي - عمارة جوهرة القدس التجاري

هاتف: ٤٦٤٠٩٣٧ ، ٤٦٤٥٩٣٧ - فاكس: ٤٦٢٨٣٦٢

ص.ب ٩٢١٥٢٦ عمان ١١١٩٠ الأردن

E-mail: daralfurqan@gmail.com



9 789957 507329





من روائع القصص
في تضحيات الصحابة



ابراهيم النعمة

من روائع القصص
في تضحيات الصحابة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠١٤-١٤٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نحمدك اللهم ونستهديك، ونستعين بك ونتوكل عليك، ونصلي ونسلم صلاة طيبة زاكية مباركة على من ختمت به الشرائع وأرسلته رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله الطيبين، وصحابه المخلصين الذين اصطفيتهم من خلقك، وائتمنتهم على تبليغ شررك الشرييف إلى الناس كافة، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وآتاه الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته؛ إنك لا تخلف الميعاد.

أما بعد:

فقد أكرم الله تعالى أمتنا بخاتم الأنبياء ورسله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، واختار له أصحاباً يجاهدون معه وينشرون دينه في حياته وبعد مماته. واستطاع الصحابة الكرام أن يحققوا من الخير للبشرية ما لم يستطع أن يحققه غيرهم على مدى التاريخ كله؛ ذلك لأنّ عوامل الخير التي جعلها الله فيهم لم تجتمع في جيل قبلهم ولا في جيل بعدهم؛ فقد أخلصوا الله ورسوله في أقوالهم وأفعالهم، وبدلوا أرواحهم وأولادهم وكل حبيب إلى قلوبهم، رخصصة في سبيل الله: فهاجر من هاجر منهم إلى الحبشة من أجل الثبات على دينهم خشية أن يفتنهم الذين كفروا، ثم هاجروا مرة أخرى إلى المدينة استجابة لرسول الله ﷺ، راضية بذلك قلوبهم، مطمئنة بالهجرة أفندهم، تاركين المال والأهل والأحباب. روى سعيد بن المسيب هجرة صهيب الرومي فقال:

(أقبل صهيب مهاجرًا نحو رسول الله ﷺ، فاتبعه نفر من قريش من المشركين، فنزل عن راحلته، وثار ما في كناته، وأخذ قوسه ثم قال: يا معاشر قريش، لقد علمتم أنني من أرمакم رجالاً، وایم الله لا تصلون إلى حتى أرمي بها في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلاوا

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

ما شئتم. قالوا: دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلع عنك، وعاهدوه إن دلهم أن يدعوه، ففعل. فلما قدم على النبي ﷺ قال: [أبا يحيى ريح البيع، ريح البيع] وأنزل الله تعالى ﷺ **وَمِنْ أَنْسٍ مَّنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْيَعَكَاءَ مَرْصَادَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَبَادِ** (٢٧).^(١)

هذا ما يتعلّق بالماهجرين، وأمّا الأنصار، فما أن أقدم المهاجرون إلى المدينة حتّى أقدموا على إيوائهم، وعرّضوا مدحبيهم للخطر، وتمثلّ كرمهم لإخوانهم المهاجرين في أكرم صورة من الصور؛ فأثني الله تعالى عليهم ذلك الثناء العاطر في عدد من المواقع في القرآن الكريم، ومنها ما قاله ﷺ فيهم:

لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّفَقَّنَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُونَا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُصَدِّقُونَ (٨) **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَإِلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَكَمْ يَحِدُّونَ فِي صَدْرِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَعَّ نَفْسِيهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (٩) سورة الحشر.

وقد جاءت الآياتتان الكريمتان في وصف المهاجرين والأنصار من صحابة رسول الله ﷺ، واضحة تجردهم لنصرة دين الله: فقد تركوا الوطن وهو حبيب إلى قلوبهم، وتركوا المال وهو عزيز على نفوسهم.. ترك المهاجرون ذلك لما أمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فسارعوا إليها غير ملتفتين إلى شيء من ذلك، وقد وصفت الآية الأولى المهاجرين بالإيمان الصادق، ووصفت الآية الثانية الأنصار بالفلاح، فهم قد انخلعوا عن البخل والشح، ومددوا أيديهم بالكرم والجود، والحساء والعطاء، والبذل والندى، ونصروا الله ورسوله، مؤثرين الإيمان بالله واليوم الآخر على المال والأهل والولد..!

ولقد عاش الصحابة في فقر مدقع، وحاجة كاوية من أجل ثباتهم على الدين، ونشر الإسلام في

(١) الجامع في أسباب النزول، جمعه ورتبه وحققه: حسن عبد المنعم شلبي، ص ٨٣-٨٤، الطبعة الأولى ١٤٣٢-٢٠١١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

بقاع الدنيا.. تحملوا ذلك صابرين محتسين، ثابتين ثبات الشم الراسيات من أجل ذلك، معرضين عن المغريات التي عرضت عليهم. ويحكي لنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه شيئاً من الشدة في العيش التي كانوا عليها فيقول:

(رأيتني سابع سبعة مع النبي ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحبَّة أو الحبَّة، حتى يضع أحدنا ما تضع الشاة) ^(١).

وهذا الورق الذي كان يأكله سعد مع ستة من الصحابة: ورق صحراوي له شوك فتخرج فضلات الطعام منهم جافة كما تضع الشاة البعير.

وشفط العيش الذي أصاب المسلمين، وتواتر ذكره لدى كتاب السيرة والمؤرخين، ينبغي أن نقف عنده؛ لنعلم ضرورة الثبات على عقيدة التوحيد كيف تكون. هذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول:

(كنا قوماً يصيّبنا ظلف العيش وشدته بمكة مع رسول الله ﷺ، فلما أصابنا البلاء اعترفنا بذلك، ومننا عليه وصبرنا له، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة، خرجت من الليل أبوه وإذا أنا أسمع بقعقة شيء تحت بولي فإذا قطعة جلد بغير فأخذتها فغسلتها، ثم أحرقتها، فوضعتها بين حجرين، ثم استففتها وشربت عليها من الماء، فقويت عليها ثلاثة) ^(٢).

ولا يظنن أحد أن هذا الفقر وتلك الشدة أصابت المسلمين في العهد المكي وحده، بل أصابت المسلمين حتى في العهد المدني في غزوات النبي ﷺ وسراياه: ففي غزوة سيف البحر وتسمى غزوة الخبط، تحمل الصحابة من الجوع ما لم يتحمله غيرهم: فقد أرسل النبي ﷺ سرية من المهاجرين والأنصار بلغ عددهم أكثر من ثلاثة صحابي ليصدوا عيراً لقريش، ويهذبوا أحياءاً من قبيلة جهينة، وكانت بقيادة أمين هذه الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح، ولم يكن معهم سوى جراب

(١) رواه البخاري في كتاب الأطعمة (باب: ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون)، رقم ٥٤١٢، ص ١٣٨٥.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٩٣ / ١.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

واحد من التمر، فكان زاد الواحد منهم حفنة من التمر، ولما أشرف التمر على الانتهاء صار نصيب الواحد تمرة واحدة، فلما لم يبق من التمر شيء صاروا يتتصيدون ورق الشجر بقصيدهم فيسحقونه ويشربون عليه الماء. ولنترك الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يروي لنا ما كان في هذه الغزوة من ضيق شديد عليهم فقال:

(بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ مُصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا قَبْلَ السَّاحِلِ فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَاحِ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ، وَأَنَا فِيهِمْ فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كَانَ بِيَعْضِ الطَّرِيقِ فَنِيَ الرَّاُدُ؛ فَأَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِإِزْوَادِ ذَلِكَ الْجُنُشِ فَجُمِعَ ذَلِكُ كُلُّهُ فَكَانَ مِزْوَدِي^(١) تَمَرٌ، فَكَانَ يُقَوِّتُنَا كُلَّ يَوْمٍ قَلِيلًا حَتَّى فَنِي فِيمَا يَكُنُ يُصَبِّنَا إِلَّا تَمَرًا مَمَّرَّةً فَقُلْتَ: وَمَا تُغْنِي تَمَرًا؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَهَا حِينَ فَنَيْتُ، قَالَ ثُمَّ اَنْتَهَيْنَا إِلَى الْبَحْرِ إِذَا حُوتٌ مِثْلُ الظَّرِيبِ^(٢) فَأَكَلَ مِنْهُ ذَلِكَ الْجُنُشُ تَمَارِي عَشْرَةَ لَيْلَةً...)^(٣).

وكمثال على ذلك أيضاً ما رواه سهل بن سعد قال:

كانت فيما أمرناه تجعل على أربعة في مزرعة لها سلقاً، فكانت إذا كان يوم الجمعة تنزع أصول السلق، فتجعله في قدر ثم تجعل عليه قبضة من شعير تطحنه، فتكون أصول السلق عرقه، وكنا نصرف من صلاة الجمعة فنسلمه عليها؛ فتقرب ذلك الطعاملينا فنلعقه، وكنا نتمنى يوم الجمعة لطعمها ذلك^(٤). وفي رواية وليس فيه شحم ولا وَدَك... فكنا نفرح بيوم الجمعة من أجل ذلك^(٥). لقد حمل الصحابة نور الهدى إلى العالم، وأنقذوا الدنيا المعذبة، وهدوا الإنسانية الخائرة بذلك الدين الذي أدخل التوحيد إلى العالم، وأرسى قواعد العدل والمساواة في الإنسانية بين الناس. لقد

(١) المزود: ما يجعل فيه الزاد.

(٢) الظريب: الجبل الصغير.

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: غزوة سيف البحر) رقم ٤٣٦٠ ص ١٠٨٣ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الجمعة (باب: قول الله تعالى: هُنَّ فَأَذَا قُضِيَتِ الْأَصْلَوَةُ فَأَنْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ) رقم ٩٣٨ ص ٢٨٤ .

(٥) رواه البخاري في كتاب الحرج والمزارعة (باب: ما جاء في الغرس) رقم ٢٣٤٩ ص ٦٠٥ .

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

كانوا حريصين على إخراج الناس من ضلالات الكفر والشرك إلى نور الهدى والإيمان، وعبر عن ذلك (ربعي بن عامر رضي الله عنه) بأوضح بيان لقائد الفرس رستم قبيل أن ينشب القتال في حرب القادسية لما سأله رستم: ما جاء بكم؟ فأجابه بكل عزة وشمم:

(الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قيل لنا ذلك، قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبي قاتلناه أبداً حتى نمضي إلى موعد الله. قال [رستم]: وما موعد الله؟ قال: الجنة ملن مات على قتال من أبي، والظفر ملن بقي...).^(١)

ونحب أن نشير هنا إلى أنَّ الواحِدَ من الصحابة ما كان يفرح بشيء فرحة بدخول الناس في الإسلام. وكيف لا يكون فرحهم قد تغلغل في سوِيَّداء قلوبهم هكذا، وقد سمعوا أو علموا بما قاله النبي ﷺ لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمُرٌ النَّعَمِ».^(٢)

وهنا نرى ظاهرة ما عرفها العالم قدِيمًا ولا حديثًا: فإنَّ الناس الذين فتحت بلادهم أعجبوا بالصحابة الفاتحين، وانضوى كثير منهم تحت لواء الإسلام من غير إكراه، على خلاف ما اعتادته الأمم التي فتحت بلادهم عنوة، وقد قال الإمام مالك:

(بلغني أنَّ النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: [وَاللَّهُ لَهُ لَاءُ خَيْرٍ مِنَ الْحَوَارِينَ فِيهَا بَلَغْنَا]).^(٣)

(١) تاريخ الطبرى ٣/٥٢٠، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.

(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه) رقم ٦٤٠، ص ١٠٦٠.

(٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للشيخ أحمد بن محمد القسطلاني ٢/٥٣٨، شرحه وعلق عليه: مأمون بن محى الدين الجنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

فلا نعجب إذا علمتنا أنَّ من العلماء قدِيماً وحدِيثاً مَنْ كان يدعُ النَّشَءَ إِلَى قِرَاءَةِ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وقِرَاءَةِ سِيرَةِ أَصْحَابِهِ؛ لِينِسَأُ الْفَتَنَ الْمُسْلِمَ عَلَى التَّأْسِيِّ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ مِنِ الْإِخْلَاصِ لِللهِ وَلِرَسُولِهِ، وَالصَّدْقِ فِي الْجَهَادِ، وَالسَّخَاءِ وَالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ، وَقَدْ قَالَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ بْنُ الْحَسِينِ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(كَنَّا نَعْلَمُ مَغَازِيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا نَعْلَمُ السُّورَ مِنَ الْقُرْآنِ) ^(١).

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعْدٍ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ أَبِي يَعْلَمُنَا الْمَغَازِيَ وَالسَّرَايَا وَيَقُولُ: يَا بْنَى، إِنَّهَا شَرْفُ أَبَائِكُمْ فَلَا تَضَيِّعُوا ذَكْرَهَا) ^(٢).

وَلَا أَكْتُمُ الْقَارِئَ الْكَرِيمَ أَنِّي حِينَ كَتَبْتُ هَذَا الْبَحْثَ كُنْتُ مُسْتَمْتَعًا بِكِتَابَتِهِ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِمْتَاعِي بِكِتَابَةِ كَتْبِيِّ الْأُخْرَى؛ لِأَنَّ الْبَحْثَ لَمْ يَكْلُفْنِي كَثِيرًا عَنَاءً؛ إِذْ كُنْتُ قَدْ ذُكِرْتُ فِي قَسْمٍ مِنْ كَتَبِي عَدْدًا مِنْ تَلْكَ الْمَوَاقِفِ الْبَطْوَلِيَّةِ لِلصَّحَابَةِ، وَأَعْدَتْ ذَكْرَ قَسْمٍ مِنْهَا هُنَّا؛ لِأَنَّ تَلْكَ الْكِتَابَ لَمْ تَكُنْ مُتَوَافِرَةَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلِأَنِّي حِينَ أَدْوَنَ تَضْحِيَاتَ الصَّحَابَةِ أَزْدَادُهَا قُوَّةً رُوحِيَّةً فَوْقَ اسْتِفَادَتِيِّ الْعِلْمِيَّةِ مِنْهَا، وَمَا أَحْرَجَ الْمُسْلِمَ فِي هَذَا الْعَصْرِ إِلَى مَا يَبْعُثُ فِيهِ إِلَيْهِنَّ الْحَقُّ، وَالْعَزِيمَةُ الصَّادِقَةُ، وَيَقُوَّيُ فِيهِ النَّاحِيَةُ الرُّوحِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ بِاعْثَةً لِلصَّحَابَةِ الْكَرَامِ عَلَى تَلْكَ التَّضْحِيَاتِ.

وَمَا دَعَانِي إِلَى ذِكْرِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ فِي تَضْحِيَاتِ الصَّحَابَةِ: خَوْفِي عَلَى شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْانْجِرافِ وَرَاءِ الْذِينَ افْتَرُوا عَلَى سِيرَةِ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَأَثَارُوا حَوْلَهَا شَبَهَاتٍ كَاذِبَةٍ لَا سَنَدَ لَهَا مِنْ نَقْلٍ، وَلَا دَلِيلٌ عَلَيْهَا مِنْ عَقْلٍ؛ لِيُضَلِّلُوا الْمُسْلِمِينَ، وَيُطْعِنُوا بِالْإِسْلَامِ فِي الصَّمِيمِ، وَقَدْ أَصَابَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيَّ حِينَ قَالَ:

(إِنَّمَا الْإِسْلَامُ كَدَارُهَا بَابٌ، فَبَابُ الْإِسْلَامِ الصَّحَابَةُ، فَمَنْ آذَى الصَّحَابَةَ إِنَّمَا أَرَادَ الْإِسْلَامَ:

كَمْنَ نَقَرَ الْبَابَ - أَيْ نَقَبَهُ - إِنَّمَا يَرُيدُ دُخُولَ الدَّارِ) ^(٣).

(١) السيرة النبوية لابن دحLAN ١ / ١٨٧.

(٢) السيرة النبوية لابن دحLAN ١ / ١٨٧.

(٣) تهذيب الكمال للحافظ المزي، ٣٣٩ / ١، الطبعة الأولى ١٤٠٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

ولما سأله الخليفة العباسى محمد المهدي الشيخ عبد الله بن مصعب الزبيري قائلاً: (يا أبا بكر، ما تقول فيمن ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: زنادقة... هم قوم أرادوا رسول الله ﷺ بنقص، فلم يجدوا أحداً من الأمة يتبعهم على ذلك؛ فنتقصوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء، وهؤلاء عند أبناء هؤلاء؛ فكأنهم قالوا: رسول الله ﷺ يصحبه صحابة السوء، وما أقبح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء!. فقال (الخليفة المهدي): ما أراه إلا كما قلت) ^(١).

ولم أطلق العنان لقلمي ليسترسل في التعليق على تلك الروائع التي ذكرتها في هذا البحث؛ لأنّ أكثرها -إن لم نقل كلها- لا تحتاج إلى شيء من ذلك، وتركت للقارئ أن يتأمل ويتدبّر فيها!. أدعو الله تعالى أن يبصرنَا بمكاييد من ي يريد الشر بصحابة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وأن يجعل عملي هذا وغيره من الأعمال خالصاً لوجهه الكريم، ويقبله مني القبول الحسن، وينتفع به كل من يقرؤه، ولعلني أحظى بدعة صالحة من القارئ بظهور الغيب، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل..!



(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١/٤١٧-٤١٨ بتحقيق الدكتور: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ٢٠٠١-١٤٢٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

منزلة الصحابة في القرآن والسنّة

هذه وقفات في سيرة عدد من صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، تعطر الدنيا بذكر صبرهم، وتتهجد النفوس بذكر جهادهم، وترق القلوب بقراءة سيرتهم. إن قراءة سيرة الصحابة الكرام أمر ضروري لكل مسلم - وبخاصة الشباب منهم -؛ ليطلعوا على الأذى والعذاب الذي تحمله الصحابة في سبيل الثبات على دعوة الله أولاً، وليعتزمون بتأريخه الذي نشر العدل والمساواة والحرية بين الناس، وأعطي للإنسان كرامته التي طمرها الطغيان في الرغام ثانياً، كما ان القارئ لسيرة الصحابة يصير قارئاً لكثير من سيرة النبي ﷺ بعد ذلك، إذ إن كثيراً من سيرة الصحابة مع النبي ﷺ تُعدّ من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنّ الصحابة كانوا معه في كل مشهد من مشاهده، ورووا عنه ما رأوه بأعينهم، وما سمعوه بأذانهم، وما رواه بعضهم لبعض عن النبي الكريم، وهم العدول الصادقون الذين أثنى الله عليهم في قرآنـ الكريم، وأثنى عليهم النبي ﷺ، وشرفـ لهم بصفحة نبيه والدفاع عن هذا الدين.

و قبل أن أبدأ الحديث في تضحيات الصحابة يحسن أن أذكر شيئاً من منزلة الصحابة في القرآن

ال الكريم والسنّة النبوية المعلّمة،

الصحابـة في القرآن

نقرأ القرآنـ الحكيم، فنجد فيه ذلك المدح والثناء لصحابـة النبي ﷺ، كما نقرأ حديثـ عليهـ الصلاة والسلامـ في تبيان فضلـهم ومكانتـهم أيضاً.. وهذه الآيات والأحاديثـ في مدحـهم والثناءـ عليهمـ: منهاـ ما جاءـ على وجهـ العمومـ، ومنـهاـ ما جاءـ على وجهـ الخصوصـ لأولـئـكـ الأطهـارـ الـأـبـرارـ، الـذـين اختـارـهمـ اللهـ لـصـحبـةـ نـبـيـهـ ليـكونـواـ وزـرـاءـهـ، ويـحملـواـ دـعـوـةـ الإـسـلـامـ فيـ حـيـاتـهـ وـيـعـدـ مـمـاتـهـ وـيـبـلـغـهـ إـلـىـ الـعـالـمـ، فـوـرـدـ ثـنـاءـ اللهـ عـلـىـ الصـاحـبـةـ عـلـىـ الـجـمـلـةـ فيـ أـرـبـعـةـ عـشـرـ مـوـضـعـاـ فيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، وـوـرـدـ فيـ الـسـنـةـ

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

ثناه صلوات الله وسلامه عليه على الصحابة في الجملة أيضاً في أحاديث صحيحة وحسنة. وهذه مقتطفات من ثناء الله على الصحابة، قال الله تعالى:

﴿وَالسَّمِعُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ أَتَبَعُوهُمْ يُلْحِسِنُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ١٦

سورة التوبة.

تحمل هذه الآية الكريمة شهادة من الله تعالى للسابقين الأولين من انضووا تحت لواء الإسلام رضوان الله تعالى عنهم، ومن رضي الله عنه أدخله جنته. وقد استحق الصحابة الكرام هذا المدح من رب العالمين؛ لأنهم آمنوا بالله حق الإيمان، وهاجروا إلى الحبشة من أجل الثبات على دينهم، ثم هاجروا إلى المدينة لما دعاهم النبي ﷺ إلى الهجرة إليها. كما نجد مدح الثناء للأنصار: أولئك الذين آدوا المهاجرين وفتحوا لهم قلوبهم وبيوتهم، وكذلك من نجح بهم من اتبع السابقين من المهاجرين والأنصار، ويكتفي الصحابة هذا الفخر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ . فـأـيـ مدـحـ أـفـضـلـ منـ هـذـاـ المـدـحـ، وـأـيـ ثـنـاءـ أـعـظـمـ منـ هـذـاـ ثـنـاءـ! فـقـدـ أـكـرـمـهـمـ اللـهـ سـبـحـانـهـ بـجـنـاتـ النـعـيمـ حـينـ رـضـيـ عـنـهـمـ. وـيـشـتـرـكـ الـأـنـصـارـ معـ إـخـوـنـهـمـ الـمـهـاجـرـينـ فـيـ هـذـاـ المـدـحـ وـالـثـنـاءـ، فـهـمـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ بـالـلـهـ وـرـسـوـلـهـ مـنـ الـأـوـسـ وـالـخـزـرـجـ، فـبـايـعـواـ النـبـيـ بـيـعـةـ الـعـقـبةـ، وـأـضـعـفـ أـمـامـهـمـ أـنـ الـعـرـبـ سـتـرـمـيـهـمـ عـنـ قـوـسـ وـاحـدـةـ، وـلـمـ يـتـغـوـلـواـ مـنـ وـرـاءـ ذـلـكـ إـلـاـ رـضـوـانـ اللـهـ.

إـنـهـمـ صـحـابـةـ النـبـيـ! فـمـاـ بـعـدـ تـعـدـيـلـ اللـهـ لـهـمـ مـنـ تـعـدـيـلـ. وـهـلـ هـنـاكـ مـنـزلـةـ أـعـلـىـ مـنـ مـنـزلـةـ مـنـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ؟!

وقوله: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَأْبَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعِلَّمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتَحَّا قَرِيبًا ١٧ سورة الفتح.

المتأمل بالأية الكريمة يجد أن هذا الثناء هو أبلغ ثناء وأعطره على صحابة نبيه السابقين. ويكتفي أنه صادر من رب العالمين في صحابة نبيه السابقين من المهاجرين والأنصار؛ فقد كان الله بـيـعـةـ الـعـقـبةـ يعلم

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

معدن صحابة نبيه، وحقيقة إيمانهم، وما قدّموا ويقدّمونه من تضحيات، وأئمّهم ستكتب لهم الخاتمة الحسنة، ويموتون على الإيمان الحق - وعلم الله علم أزلي لا يتغير ولا يتبدل - فأئمّة عليهم هذا الثناء الذي لم يشن بمثله على أمّة من الأمم، فأكرّهم بأنّ رضي عنهم. ولم يقتصر هذا الرضوان على واحد من المباعين دون الآخر، بل يشمل كلّ مَنْ بايع تحت الشجرة في غزوة الحديبية على ألا يفروا في قتالهم مع المشركين، أو بايوه على الموت، بعد أن سرى بين الصحابة أنّ كفار مكة قتلوا عثمان بن عفّان الذي حمل رسالة النبي ﷺ إليهم.

إنه الرضوان من الله عن صحابة النبي وكفى، أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِ قُرْآنًا يُتَلَى آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ. وتظلّ أجيال المسلمين ترتل هذا الرضوان من الله عن الصحابة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فهنيئاً لكم يا صحابة النبي ببشرارة رسول الله ﷺ لكم «لا يدخل النار أحدٌ مَنْ بايع تحت الشجرة»^(١).

ويا خسارة من أبغض الصحابة وتطاول لسانه في الإساءة إليهم !

ويا ويل من سبّ وأبغض من رضي الله عنهم !

وقوله: ﴿وَلَمَّاءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَسَلِيمًا ﴾٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظَرُ وَمَا بَدَلُوا أَبْدِيلًا ﴾٢٣﴾ سورة الأحزاب.

ولا تحتاج الآيات الكريمة إلى تفسير وبيان، فهو الثناء المبين من رب العالمين لأولئك الذين أطبقت عليهم قبائل الكفر والشرك من كل جانب، فجاءت الأحزاب بخليها ورجلها، وقضتها وقضيضها تبغي استئصال المسلمين من المدينة، **ولذلك الموقف الذي لا يستطيع أن يقفه أحد غيرهم**، فلم يترعرع منهم الإيمان حين رأوا من جهة الكفر ما رأوا، بل ازدادوا إيماناً،

(١) رواه أبو داؤد في كتاب السنة (باب في الحلفاء) رقم ٤٦٤٠، (عون المعبد) ٢٢٣ / ١٢، والترمذى في كتاب المناقب (باب: في فضائل من بايع تحت الشجرة)، رقم ٣٨٦٩ (تحفة الأحوذى) ٣٣٣ / ١٠.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

وثبتوا في أخرج المواقف: فهم رجال كملت الرجولة فيهم، ومن هؤلاء من أدى ما ألزم به نفسه، فقاتل في سبيل الله، حتى وقع شهيداً، ومنهم من ظلّ على العهد الذي عاهد عليه الله، فقاتل في سبيل الله، فهو يتضرر إحدى الحسينين: النصر أو الشهادة، فلم ينقضوا عهدهم مع الله كما نقضه المنافقون، فهم في شوق إلى لقائه تعالى! هكذا اعترى الصحابة ذروة الإيمان!

أوليس هؤلاء الصحابة من تعطر الدنيا بذكرهم؟

بل، ويكتفيهم شرفاً أنهم أصحاب رسول الله ﷺ !

وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعْهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَبَّهُمْ رُكُوعًا سُجَّدًا يَتَبَعَّوْنَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوْنَا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرِيهِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَعَهُ فَقَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعَجِّبُ الرِّزَاعَ لِيغَيِّرَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلَاحَتِ مِنْهُمْ مَعْفَرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٦٢ سورة الفتح.

في الآية ثناء من الله على رسوله محمد ﷺ، فهو رسول الله وكفى بهذه المنزلة رفعة من الله. وجاء الثناء بذلك على صاحبة النبي فوصف شدتهم على الكفار ورحمتهم بالمؤمنين فيما بينهم، فيكترون من طاعة الله وعبادته من أجل الحصول على رضوانه، وتظهر سبياء تلك الطاعة على وجوههم. إنّ فضل الصحابة على الدنيا كثير، فقد استطاعوا أن يغيروا وجه العالم، ويدخلوا التوحيد إلى كثير من البلاد بفضل دعوتهم وجهادهم في سبيل الله. ونحن المسلمين اليوم في قارات الدنيا ثمرة من ثمرات دعوة الصحابة إلى الإسلام بصدق الدعوة، ولو لا الصحابة لما كان كثير من الشعوب اليوم ينضوي تحت لواء الإسلام.

الصحابة في السنة

وأما أحاديث النبي ﷺ في الثناء على صحابته رضي الله عنه فكثيرة أيضاً^(١) ومن تلك الأحاديث:

(١) لزيادة الاطلاع: تنظر تلك الأحاديث في كتابي (صور من صحبة النبي ﷺ في القرآن والسنة) وكتابي الآخر: (ما ينبغي أن يعرفه المسلم عن الصحابة).

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

(عن عمران بن حصين رضي الله عنهم) قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» - قال عمران: فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة - «ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويختونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن»^(١).

واضح من هذا الحديث أنّ القرن الذي بُعث به النبي ﷺ وعاش فيه الصحابة الكرام هو خير القرون، والقرن الذي يليه هو قرن أبناء الصحابة، والقرن الثالث هو قرن أبناء أبنائهم. ولقد كان قرن النبي خير القرون؛ لأنّ فضل الصحابة لا يعلوها شيء؛ لأنّهم آمنوا بالله وبرسوله في حياة النبي، ودافعوا عن هذا الدين، وهاجروا في سبيل الحفاظ على دينهم، وفي سبيل نصرة الإسلام أيضاً.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«يأتي على الناس زمانٌ يغزو فتاماً من الناس فيقال لهم: فيكُم من رأى رسُولَ اللهِ فَيقولُونَ: نعم فيفتح لهم، ثم يغزو فتاماً من الناس فيقال لهم: فيكُم من رأى من صاحبَ رسُولَ اللهِ فَيقولُونَ: نعم فيفتح لهم، ثم يغزو فتاماً من الناس فيقال لهم: هل فيكُم من رأى من صاحبَ من صاحبَ رسُولَ اللهِ فَيقولُونَ: نعم فيفتح لهم»^(٢).

وعن أبي بُردةَ عن أبيه قال: (صَلَّيْنَا الْمُغْرِبَ مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلستنا حتى نصلِّي معه العشاءَ قال: فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فقال: «ما زِلتُمْ هاهنَا!؟» قلنا: يا رسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمُغْرِبَ ثُمَّ قلنا تَجْلِسُ حتى نصلِّي مَعَكَ العشاءَ قال: «أَحَسْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ». قال: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فقال: «النُّجُومُ أَمْنَةٌ لِلسماءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا

(١) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ (باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ) رقم ٣٦٥٠، ص ٦١٤

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير (باب: من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب) رقم ٢٨٩٧، صحيح البخاري ومحمد هدي الساري ص ٧٤٨، ومسلم = واللفظ له - في كتاب فضائل الصحابة (باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) صحيح مسلم ١٩٦٢ / ٤.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

تُوعَدُ، وأنَا أَمْنَةٌ لِأَصْحَابِي، إِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمْنَةٌ لِأُمَّتِي إِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»^(١).

وفي هذا الحديث ثناء من النبي الكريم على أصحابه، مبيناً أنّ فضلهم إلى منْ بعدهم كفضل النبي ﷺ إلى أصحابه: فكما أنّ النبي أمان لأصحابه يجمعهم على الخير والنور والهدى، فكذلك أصحابه أمان لأمتهم من ظهور البدع.

وقال:

«لَا تُسْبِوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ، ذَهَبَ مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»^(٢).

وقال:

«اللهُ أَللّٰهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَخَذُوهُمْ غَرْضاً بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فِي هٰذِهِ الْأَيَّامِ فَإِنَّمَا أَحَبَّهُمْ وَمِنْ أَبْغَضِهِمْ، فَبِغَضَيْهِ أَبْغَضَهُمْ، وَمِنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمِنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللّٰهُ، وَمِنْ آذَى اللّٰهُ، فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ»^(٣).

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: بيان أنّبقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة) رقم ٢٥٣١، صحيح مسلم ٤/١٩٦١. ورواه الإمام أحمد برقم ١٩٤٥٨. مسند الإمام أحمد ٥١٤/١٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم ٣٦٧٣، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: تحريم سب الصحابة) رقم ٢٥٤١، وأبو داؤد في كتاب السنة (باب: النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ) رقم ٤٦٤٦، عون المعبود ١٢/٢٢٧، والترمذى في كتاب المناقب (باب: فيمن سب أصحاب النبي ﷺ) رقم ٣٨٧٠، تحفة الأحوذى ١٠/٣٣٤، وابن ماجه في المقدمة (باب: فضل أهل بدر) رقم ١٦١، سنن ابن ماجه ١/٥٧.

(٣) رواه الإمام أحمد برقم ٢٠٣/١٥. المسند ٢٠٤٥٦ بتحقيق: حمزة أَحَد الزين، والترمذى في كتاب المناقب (باب: فيمن سب أصحاب النبي ﷺ) رقم ٣٨٦٢، وابن حبان في (باب: فضل الصحابة والتابعين) رقم ٧٢١٢، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩/١٨٩ بتحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الثانية ١٤١٧-١٩٩٦، دار الكتب العلمية، بيروت، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/٢٨٧، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

ومعنى «لا تتخذوهم غرضاً بعدي»: أي لا تجعلوهم هدفاً ترمونهم بأقوالكم بما يقلل شأنهم، ويزهد فيهم، ويعغضهم إلى الناس.

وقال:

«أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»^(١).

إن هذه الأحاديث وأمثالها تنبئ عن تلك المكانة العالية التي تبوأها صحابة النبي ﷺ. وتعظم مكانة الصحابة حين يصدر هذا المدح والثناء من لدن مَنْ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمَوَى﴾ ﴿ۚ﴾ صلوات الله وسلامه عليه، ولم يشن النبي ﷺ على صحابته ذلك الثناء العاطر إلا بعد أن عرف معدنهم في الدعوة إلى الله، واتصافهم بكل صفات الفضل والإيمان، وفي معamus الحروب... وهذه الأحاديث مع مثيلاتها لا يحتاج القارئ لها إلى شرح، فهي بينة المعنى، واضحة الدلالة.

من أقوال الصحابة في الصحابة

عاش الصحابة فيما بينهم إخوة متحابين متعاونين على الخير، وليس في قلوب بعضهم على بعض حقد أو غل أو حسد، وقد تمثلت فيهم الأخوة الإسلامية في أجمل صورة من الصور.. وكيف لا يكونون كذلك وقد تربوا على عين الرسول محمد ﷺ، فنالوا هذه المنزلة العظيمة -متزلة الصحبة- وقد شهد الصحابة في جيلهم شهادة حق وهي شهادات عينية من صحابة في رفاقهم.

فهذا سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف الصحابة الذين عايشهم فيقول:

(لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى أحداً يشبههم. لقد كانوا يصيرون شيئاً غيراً، وقد باتوا سجداً وقائماً، يراوحون بين جماهيرهم وخدودهم، ويقفون على مثل الحجر من ذكر العذاب) كأنّ بين أعينهم ركب العزى لئن طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، وما دوا كما يميد الشجر يوم الرياح العاصف! لخوفاً من العقاب، ورجاءً للثواب)^(٢).

(١) رواه الترمذى في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ (باب: ومن سورة آل عمران) رقم ٣٠٠١، ص ٦٧٢.

(٢) نهج البلاغة ص ١٧٨، شرح الإمام محمد عبده، وتحقيق: أحمد جاد، الطبعة الأولى ١٤٢٧-٢٠٠٦

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

ويقول رضي الله عنه في خطبة ثانية:

(أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهاد فوَلَهُوه ولَهُ اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً، وصفاً صفاً، بعض هلك، وبعض نجا، لا يُبَشِّرون بالآحياء، ولا يُعَزَّزُون عن الموتى، مُرْءُ العيون من البكاء، خُصُّ البطون من الصيام، دُبِّل الشفاه من الدعاء، صُفِّرَ الألوان من السهر، على وجوههم غَبَرَةُ الخاسعين، أولئك إخوانِ الذاهبون، فحق لنا أن نظمَّ إليهم، ونُعَضِّ الأيدي على فرائصهم) ^(١).
ولما توفي أبو بكر الصديق رثاه سيدنا علي بخطبة من أبلغ الخطاب، فقد جاء إلى دار أبي بكر،

فوقف على بابه وهو يقول:

(رحمك الله أبو بكر، كنت إلف رسول الله ﷺ وأنس، وثقته وموضع سره، كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفهم الله، وأعظمهم غناً في دين الله، وأحوطهم على رسول الله، وأثبتهم على الإسلام، وأيمنتهم على أصحابه، وأحسنتهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ سنناً وهدياً، ورحمة وفضلاً، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده؛ فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله خيراً...) ^(٢).

ويقول سيدنا علي وهو يثنى على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

(الله بلاه فلان [يعني عمر بن الخطاب]؛ فلقد قوم الأَوَد [عدل الأعوجاج]، وداوى العَمَد [داوى العلة]، وأقامَ السنة، وخلفَ الفتنة [أي: لم يدرك الفتنة ولم تدركه]، ذهب نقى الشوب، قليلاً

دار الغد الجديد، القاهرة.

(١) نهج البلاغة ص ٢٠٨.

(٢) إعجاز القرآن للباقلاي ص ١٤٣ - ١٤٥، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة.

وهذه الخطبة من أبلغ الخطاب لسيدنا علي. ومن أرادها كاملة فليراجعها في الكتاب المذكور.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

العيّب، أصاب خيرها، وسبق شرّها، أدى إلى الله طاعته، وانتقام بحقه^(١).

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

(إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصلطناه لنفسه وابتاعته برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد عليه السلام، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه...)^(٢).

ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

(مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنْدًا فَلِيُسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ؛ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تَؤْمِنُ عَلَيْهِ الْفَتْنَةَ، أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانُوا أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ أَبْرَاهِيمَ قَلْوَبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَمَهَا تَكْلِفًا، قَوْمٌ اخْتَارُهُمُ اللَّهُ لِصَحْبَةِ نَبِيِّهِ وِإِقَامَةِ دِينِهِ؛ فَاعْرُفُوهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ وَتَمْسِكُوهُمْ بِمَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَدِينِهِمْ؛ فَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَدِيِّ الْمُسْتَقِيمِ)^(٣).

وقال سعيد بن زيد العدوبي - أحد العشرة المبشرين بالجنة -:

(وَاللَّهُ لَمْ شَهَدْ شَهِدَهُ رَجُلٌ يُغَيِّرُ فِيهِ وَجْهَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد ٦/٢٠٧، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع سنة ١٤٣٢ - ٢٠١١، المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) رواه الإمام أحمد برقم ٥٥٥، الطبعة الأولى ١٤١٦=١٩٩٠، دار الحديث، القاهرة. وفي (فضائل الصحابة) ١٤٥، والطبراني والطیالسي والبغوي والبزار. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦٩٦.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ١/٣٠٦-٣٠٥، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٤) رواه الإمام أحمد برقم ١٩٢٩، المسند ٢/٢٨٩.

في صحبة النبي الكريم

حب الصحابة للنبي ﷺ

إذا كانت النفوس البشرية قد طبعت على طاعة المحب لمحبوبه كما قال الإمام الشافعي رحمه الله عز وجل:

(إنَّ الْمُحَبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مطْبِعٌ)، فكيف إذا كانت تلك المحبة عبادة يتقرّب بها المسلم إلى الله تعالى؟!

ونقرأ القرآن الحكيم، فنجد الله تعالى قد خاطب نبيه محمد ﷺ، آمراً له أن يقول لقومه: ﴿ قُلْ إِنَّ كُنْتُمْ تُجْنِبُونَ اللَّهَ فَأَتَيْتُكُمْ بِيُحِبْكُمُ اللَّهُ وَيَقْرَئُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٢١﴾ سورة آل عمران.

وهنا نجد الله تبارك وتعالى قد اشترط على من يريدون محبتة أن يتبعوا رسوله محمد ﷺ في كل أمر ونهي. لذلك نجد استجابة الصحابة للنبي الكريم قد أصبحت أئمدة لا نجد نظيرًا لها على مدى التاريخ. ولقد صارت محبة المسلمين للنبي ﷺ واجبة. وكيف لا تكون واجبة وقد كان صلوات الله وسلامه عليه سبباً في إخراج أمتنا من ضلال الكفر والشرك إلى نور المداية والإيمان.؟! إنَّ اللَّهَ تَعَالَى فطر النفوس البشرية على حب من أحسن إليها مرة أو مرتين، فكيف بالإحسان الذي جاء به النبي ﷺ من عند الله بهذا الدين؟! إنه ليس بعد فضل الله فضل كفضل رسول الله ﷺ، وليس في الكون كله نعمة تعدل نعمة الإيمان بالله الإيمان الحق (فتح على من أدرك عظمة هذه النعمة أن يحب من أوصلاه إليه)^(١)، وقد نصَّ الله تعالى في قرآن المجيد على وجوب محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، وتقديم تلك المحبة على كل شيء من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والمال، وتوعَّد سبحانه من يقدم حبَّ شيء من الأشياء الثانوية على حبَّ الله وحبَّ الرسول والجهاد في سبيل الله، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَبَاكُمْ وَإِنَّا أَنَا كُمْ وَالْمُحَمَّدُ أَبَاكُمْ وَرَأْبَدُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ أَفَرَفْتُمُوهَا وَلَمَّا رَأَيْتُمُوهَا كَسَادُهَا وَمَسِكُنُ تَرَضَوْهَا أَحَبَّ

(١) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري ٦٣٩ / ٢، الطبعة الثامنة ١٤٣٥ - ٢٠٠٩، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

إِنَّمَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَنْ يُرِيدُ سَبِيلًا، فَتَرَكُوكُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَّكُمُ اللَّهُ يَأْمُرُهُ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ سورة التوبة.

ولقد فهم الصحابة الكرام ما تعنيه الآية الكريمة، فأحبوا نبيهم صلوات الله وسلامه عليه أكثر من حبهم آباءهم وأبناءهم والناس أجمعين، بل أحبوه أكثر من حبهم لأنفسهم، وقد سُئل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال:

(كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وأبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظماء) ^(١).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (ما كان أحد أحب إلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ^(٢).

وكم كان فرح الصحابة عظيماً حين جاء أعرابي وسأل النبي صلى الله عليه وسلم: المرء يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم: «المرء مع من أحب» ^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم:

«لا يؤمّن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» ^(٤).

وقد نصّ النبي صلى الله عليه وسلم على أنّ المسلم يجد حلاوة الإيمان في ثلاثة أشياء، إحداها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فقال:

«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» ^(٥).

فلا نعجب إذا علمنا أنّ الصحابة أحبوا النبي الكريم من صميم قلوبهم حباً لم يسمع بمثله

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي ٢/١٥ ، حققه: عبد السلام محمد أمين، الطبعة الثالثة ١٤٢٧-٢٠٠٦ ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الشفا للقاضي عياض ٢/١٥.

(٣) رواه الترمذى في كتاب الدعوات (باب: ما جاء في فضل التوبة والاستغفار) رقم ٣٥٣٥ ، ص ٨٠٦.

(٤) رواه البخارى في كتاب الإيمان (باب: حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان) رقم ١٥ ، ص ٦.

(٥) رواه البخارى في كتاب الإيمان (باب: حلاوة الإيمان) رقم ١٦ ، ص ٦.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

قط. وقد وقف المشركون في ذهول أمام ما يسمعونه بأذانهم وما يرونه بأعينهم من حب الصحابة لرسول الله ﷺ. فهذا (عروة بن مسعود الثقفي) يقول لأصحابه بعدما رجع من الحديبية..
(أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك: على كسرى وقيس والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاباً ملائكة، والله إن تختم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلّك بها وجهه وجده وإذا أمرهم إبتدروا أمره وإذا توضاً كانوا يقتلون على وضوئه، وإذا تكلّم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمياً له...) (١).

وهذه ثلاثة نماذج فقط من نماذج كثيرة، تدل على حب الصحابة للنبي وطاعتهم له:

١- أول خطيب دعا إلى الله تعالى رسوله ﷺ

قالت عائشة رضي الله عنها: (لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور؛ فقال: «يا أبا بكر إنا قليل»، فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً، ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله تعالى رسوله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضرموا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطيء أبو بكر وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوصتين ويحرفهم وجهه، ونزا على بطنه أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه. وجاءت بنو تميم يتعادون، فأجلت المشركون عن أبي بكر، وحملت بنو تميم أبي بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكرون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبي بكر حتى أجاب. فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فمسوا منه بالستهم وعدلوه، ثم قاموا وقالوا لامه أم الخير، أنظري أن تطعميه شيئاً أو

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣/٢٦١ بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الرابعة ١٤٢٥ - ٢٠٠٥، مؤسسة الرسالة بيروت.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

تسقيه إيه فلما خلت به أخت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بಚاحبك. فقال: إذهب إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى أتت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تخفين أن أذهب معك إلى ابنك قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريراً دنقاً، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنما لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت سالم صالح، قال: وأين هو؟ قالت: في دار ابن الارقم، قال فإن الله علىّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ، فامهلتها حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتکع عليهما حتى أدخلته على رسول الله ﷺ^(١).

٢- بين الولد المؤمن والده المنافق

كان عبد الله بن أبي رأساً للمنافقين في المدينة، وكان ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي على العكس من ذلك، كان من المؤمنين الصادقين وقد كان والده رأس النفاق يتنهز الفرصة بعد الفرصة ليؤذى النبي ﷺ ومن آمن معه، فلماً وقع شجار بين واحد من المهاجرين وآخر من الأنصار، وкусع المهاجري الأنصاري انتهزها ابن أبي فرصة ليحرّض أهل المدينة على النبي والمسلمين، فقال كما حكى القرآن الكريم ﴿يَقُولُونَ لِئَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَلَ مِنْهَا أَذْلَلَ﴾ سورة المنافقين / ٨.

وسمع النبي ﷺ بما قاله رأس المنافقين فدعا ابنه عبد الله بن عبد الله وقال له: «ألا ترى ما يقول أبوك؟» قال: وما يقول بأبي أنت وأمي؟ قال: «يقول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزل منها الأذل». فقال: فقد صدق والله يا رسول الله، أنت والله الأعز وهو الأذل، أما والله لقد قدّمت

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ٣٢-٣٣، وتقه وقابل خطوطاته الشيخ: علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبى مني، ولئن كان يرضي الله ورسوله أن آتىهم برأسه لأنّيتهم به، فقال رسول الله ﷺ: لا، فلما قدموا المدينة، قام عبد الله بن عبد الله بن أبي على بابها بالسيف لأبيه؛ ثم قال: أنت القائل: [لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ]، أما والله لترى العزة لك أو لرسول الله، والله لا يأويك ظله، ولا تأويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله؛ فقال: يا للخزرج ابني يمعنى بيتي، يا للخزرج ابني يمعنى بيتي! فقال: والله لا تأويه أبداً إلا بإذن منه؛ فاجتمع إليه رجال فكلموه، فقال: والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه، فقال: «اذهبوا إلينه، فقولوا له خلّه ومسكنته»؛ فأتواه، فقال: أما إذا جاء أمر النبي ﷺ فنعم)).^(١)

٣- زيد بن الدثنة

زيد بن الدثنة صحابي جليل أنصاري، شهد غزوتي بدر وأحد. وقد ذكر ابن الأثير: أن نفراً من (عضل) و(القارة) قدموا على رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد، فقالوا: إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك، يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، فبعث رسول الله ﷺ معهم خبيب ابن عدي وزيد بن الدثنة ونفراً، فخرجا، حتى إذا كانوا بالرجيج فوق الهدأة، (موقع بين عسفان ومكة) فأتتهم هذيل فقاتلواهم، وقد أسر زيد فاشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فأمر مولى يقال له: نسطاس، فخرج به إلى التنعيم ليقتله. وقبل أن يقتل قال له أبو سفيان نشتك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك، فنضرب عنقه وإنك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة توذيه، وإنني جالس في أهلي! فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمدًا. ثم قتل رضي الله عنه، وكان قتله سنة ثلث من الهجرة.^(٢).

(١) تفسير الطبرى ٢٨/١١٤-١١٥، الطبعة الثانية ١٣٧٣-١٩٥٤، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، القاهرة.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٢/٢٤٣-٢٤٤، الطبعة الثالثة ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

وترس أبو دجانة (يوم أحد) على رسول الله ﷺ بظهره والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك^(١). ومصّ مالك الخدرى - وهو والد أبي سعيد الخدرى - جرح رسول الله ﷺ حتى أنقا، قال له مجّه، قال: والله لا أمجّه أبداً ثم أذير^(٢).

ولما وقعت مأساة المسلمين في غزوة أحد، وقتل من قُتل من الصحابة، وكانوا سبعين صاحبياً، مر النبي الكريم بامرأة من بنى دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها في تلك الغزوة، فلما أخبروها باستشهاد أعزائهما الثلاثة قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ [إنهما تريد الاطمئنان على سلامته] قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل^(٣)! (أي: كل مصيبة بعد سلامتك هينة صغيرة!). ولفظ جلل من ألفاظ الأضداد).

استجابة الصحابة للنبي ﷺ

حين نقرأ أحاديث النبي ﷺ، نجد فيها الحث على المبادرات إلى الخيرات؛ ذلك لأنّ الإنسان لا يعلم ما خُبِّئ له في المستقبل من فتن وأهوال قد تضعفه عن أداء الخيرات والطاعات فقال النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويسمى كافراً أو يسمى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(٤).

وتلقى جيل الصحابة تلك الأوامر والنواهي من النبي الكريم، فتسارعوا إلى العمل بها فور ساعتها وضرموا مثل الأعلى في ذلك. فهذا جرير بن عبد الله البجلي رَعِيَّةَ يروي أنّ قوماً من مضر وفدوا على رسول الله ﷺ في أول النهار وهم حفاة عراة، فتغّير وجه النبي ﷺ إشفاقاً عليهم، وجمع

المعرفة ببروت.

(١) زاد المعاد ١٧٧ / ٣.

(٢) زاد المعاد ١٨٨ / ٣.

(٣) تاريخ الطبرى ٥٣٣ / ٢.

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل ظاهر الفتنة) رقم ١١٨، ص ٦٣.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

الصحابة وحثّهم على الصدقة، فتتابع الناس حتى جعوا كومين من طعام وشراب؛ فتهلل وجه النبي ﷺ بمبادرة الصحابة إلى معونة إخوانهم^(١).

ونستطيع أن نقول من غير تردد: إن استجابة الصحابة للنبي ﷺ في كل أمر ونهي كانت أكثر بكثير من استجابة الجندي المخلص المطاع الذي يسمع الأمر من رئيسه فينفذه فور سماعه من غير تردد، وكمثال على ذلك: لما نزل قول الله تعالى في تحريم الخمر، وقرأ النبي على الصحابة ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَا أَمْنَوْا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبَيْنَا لَعَلَّكُمْ تُقْلِعُونَ ﴾١٠﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْغَضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾١١﴿ سورة المائدة. استجابوا لذلك، ويدل على هذا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (بيانا أنا أديركم الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر وتمر فسمعت منادياً ينادي: لا إن الخمر قد حرمت قال: فما دخل علينا داخل ولا خرج منها خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال)^(٢).

حول محبة المسلمين للصحابية

ذكرنا -فيها مضى- شيئاً من ثناء الله تعالى على الصحابة ورضاه عنهم، وثناء النبي ﷺ أيضاً، ووجوب محبتهم صلوات الله وسلامه عليه. ويلحق بمحبة النبي: محبة أصحابه الأبرار، وآل بيته الأطهار، فقد قال النبي ﷺ:

«آية الإيمان حب الأنصار، وأية النفاق بغض الأنصار»^(٣).

(١) ينظر نص الحديث في صحيح مسلم، كتاب الزكاة (باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) رقم ٤١٧، ١٠١٧، ص .٤١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٦٥ / ٣، بتحقيق: الدكتور حكمت بشير، الطبعة الأولى ١٤٣١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الولي (باب: علامة الإيمان حب الأنصار) رقم ١٧، ص ٦، ومسلم في كتاب الإيمان (باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلى رفعه من الإيمان) رقم ٢٣٥.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

وقال: «لو أنّ الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار، ولو لا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار»^(١).

وقال:

«لا يدخل النار أحد من بايع تحت الشجرة»^(٢).

هؤلاء هم الذين أثني عليهم رسول الله ﷺ فهم خير خلق الله بعد أنبياء الله ورسله وخصوات الملائكة المقربين، فصارت محبتهم فرضاً وبغضهم معصية، يقول الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني: (محبة من أحبه الرسول ﷺ: كآل بيته وأصحابه رضي الله عنهم، علامة على محبة رسول الله ﷺ)، كما أنّ محبته علامة على محبة الله تعالى. وكذلك عداوة من عاداهم، وبغض من أبغضهم وسبهم، فمن أحب شيئاً أحب من يحبه وأبغض من يبغضه، قال الله تعالى: ﴿لَا يَحُدُّ قَوْمًا مُّؤْمِنُوْكَ يَأْلَهُهُ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ يُوَادُّوْبَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوْا إِبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَهُمْ أُولَئِكَ كَيْبَ فِي قُلُوبِهِمْ أَلِيمَنَ وَأَيْدَهُمْ يَرُوحُ مَتَّهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتِ بَحْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ حَذِيلِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣) سورة المجادلة. فحب آل بيته وأصحابه وأولاده وأزواجه من الواجبات المتعينات، وبغضهم من الموبقات المهلكات. ومن محبتهم: وجوب توقيفهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بأن يمشي على سبّهم وأدابهم وأخلاقهم والعمل بأقوالهم، مما ليس للعقل فيه مجال، وحسن الثناء عليهم بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم، فقد أثني الله عليهم في كتابه المجيد، ومن أثني الله عليه فهو واجب الثناء... قال سهل بن عبد الله التستري: [لم يؤمن بالرسول ﷺ من لم يوّقر

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب: قول النبي ﷺ: ولو لا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار)

رقم ٣٧٧٩، ص ٦٣٤.

(٢) رواه أبو داؤد في كتاب السنة (باب: في الخلفاء) رقم ٤٦٤٠، عن المعبود ٢٢٣/١٢، والترمذ في كتاب المناقب (باب: في فضل من بايع تحت الشجرة) رقم ٣٨٦٩، تحفة الأحوذى ٣٣٣/١٠.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

أصحابه، ولم يعزّ أوامرها^(١).

ويشرح القسطلاني حديث النبي ﷺ: «الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تخذلهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبجي أحبابهم، ومن أبغضهم فيبغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»^(٢)، فيقول:

(الحديث - كما قال بعضهم) - خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب في حبّهم، والترهيب عن بغضهم. وفيه إشارة إلى أنّ حبّهم من الإيمان وبغضهم كفر؛ لأنّه إذا كان بغضهم بغضاً له كان كفراً بلا نزاع للحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»^(٣).

حكم من سب الصحابة

مرّ بنا شيء من ثناء الله تعالى على الصحابة في القرآن الكريم، ومن ثناء النبي ﷺ عليهم أيضاً، وإذا كان الإمام أحمد بن حنبل يقول: (إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ عليهنّه بسوء فاتهمه على الإسلام)^(٤)، فما حكم من يسب مجموع الصحابة أو واحداً منهم؟ إنه يكون - شك - آذى الله وآذى رسوله، ومنذ ذلك الحين يصير ملعوناً مطروداً من رحمة الله.

ولقد ذهب العلماء مذهبين في حكم من سب الصحابة:

الأول: إنّ الساب يكون قد ارتكب كبيرة من الكبائر. وإذا اعتقد أنّ سب الصحابة مباح أو اعتقد بکفرهم فيصير كافراً بإجماع العلماء. يقول الإمام مالك إمام دار المحرجة:

(١) المواهب اللدنية بالفتح المحمدية لأحمد بن محمد بن القسطلاني ٥٤٨ / ٢.

(٢) شرحنا الحديث وذكرنا تخرجه في الصفحة ١٨.

(٣) المواهب اللدنية ٢٠٦١، والحديث رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان) رقم ١٥، ص ٦، ومسلم في كتاب الإيمان (باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والمال والوالد والناس أجمعين) رقم ١٦٩.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٠٩ / ٥٩، تحقيق: حب الدين العمروفي، طبع سنة ١٤١٥ - ١٩٩٥، دار الفكر، بيروت.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

(من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص: فإن قال: كانوا على ضلال وكفر قُتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشائة الناس نُكَلَّ نكالاً شديداً^(١)).

وإذا حدث أن شتم أحد الناس واحداً من الصحابة، ووصل أمره إلى الحاكم، فليس للحاكم أن يعفو عنه، بل يعاقبه بما يناسبه من عقوبة ويستتبه. يقول تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي: (ولا يجوز للسلطان أن يعفو عن أحد وقع في أحد من الصحابة، بل يعاقبه ويستتبه: فإن تاب قبل منه، وإن لم يتبع أعاد عليه العقوبة، وخَلَدَ عليه الحبس حتى يموت أو يرجع)^(٢).

ولقد كان موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه حازماً من كل من يشتم واحداً من الصحابة. فليما وقع بين عبيد الله بن عمر بن الخطاب وبين المقداد كلام، فشتم عبيد الله المقداد وعلم بذلك عمر فماذا كان؟ (قال عمر: عليّ بالجلاد أقطع لسانه، لا يجترئ أحد بعده، يشتم أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمر بقطع لسانه، فكلمه فيه أصحاب محمد ﷺ فقال: ذروني أقطع لسان ابني، حتى لا يجترئ أحد من بعدي يسبّ أحداً من أصحاب محمد ﷺ. ولعله إنما ترك ذلك لأجل شفاعة الصحابة، ولعل المقداد عفا)^(٣).

الثاني: تكفير من يسبّ الصحابة، وبخاصة إذا كان مستحلاً لذلك، وهذا ما ذهب إليه أبو يعلى الحنبلي، وهناك من فقهاء الكوفة وغيرهم من قطع بقتل من سبّ الصحابة^(٤). يقول أبو زرعة الرازي:

(إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن

(١) الشقا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض ص ١٨٤ / ٢.

(٢) السيف المسلول على من سبّ الرسول، تأليف: تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، ص ٤٢٢، حققه وعلق عليه: إبراد أحد الغورج، الطبعة الأولى ١٤٢١ - ٢٠٠٠، دار الفتح، عمان، الأردن.

(٣) السيف المسلول على من سبّ الرسول للسبكي ص ٤٢٥.

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٥٧٥.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يحرروا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة^(١). وهكذا الأمر في كل من قذف السيدة عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه في القرآن الكريم، فإن قاذفها كافر بإجماع المسلمين؛ لأن براءتها جاءت بنص قطعي الثبوت والدلالة.

ويتقدم الإمام الشوكاني بنصيحة صادقة لكل من يسيء إلى الصحابة فيقول:

(فيما من أفسد دينه بذم خير القرون، و فعل بنفسه ما لا يفعله المجنون! إن قلت اقتنيت في سبهم بالكتاب العزيز، كذبك في هذه الدعوى من كان له في معرفة القرآن أدنى تبريز؛ فإنه مصرح بأن الله -جل جلاله- قد رضي عنهم، ومشحون بمناقبهم، ومحاسن أفعالهم، ومرشد إلى الدعاء لهم، وإن قلت اقتنيت بسنة رسول الله ﷺ المظيرة، قام في وجه دعواك الباطلة ما في كتب السنة الصحيحة، من مؤلفات أهل البيت وغيرهم، من النصوص المصرحة بالنهي عن سبهم، وعن أذية رسول الله ﷺ بذلك، وأنهم خير القرون، وأنهم من أهل الجنة، وأن رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عنهم...).^(٢)



(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٤٨، علّق عليه الشيخ: زكريا عميرات، الطبعة الأولى ١٤٢٧-٢٠٠٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) أوجز الخطاب، تأليف: أبي محمد الحسيني ص ١٦١، الطبعة الأولى ١٤١٣-١٩٩٣.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

المسلمون المستضعفون في مكة

تُفَنِّنُ الْمُشْرِكُونَ فِي تَعْذِيبِ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَضْعِفِينَ فِي مَكَّةَ؛ لِيَفْتَنُوهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَيَصْدُوهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْإِيمَانِ الْحَقِّ، فَكَانُوا يَجْبَسُونَهُمْ وَيَعْذِبُونَهُمْ بِالْضُّربِ وَالْجُوعِ وَالْعُطْشِ، وَيَضْعُونَهُمْ فَوْقَ رِمَالِ مَكَّةَ حِينَ يَشْتَدُ الْحَرُّ، وَيَكْوُنُونَهُمْ بِالنَّارِ، بَلْ يَحْرُقُونَ بَعْضَ أَجْسَادِهِمْ بِهِ. وَاسْتَمْرَ التَّعْذِيبُ بِالْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَضْعِفِينَ مَدَدَّةً مَدَدَّةً، فَمِنْهُمْ مَنْ أَعْطَاهُمْ مَا يَرِيدُونَ مِنَ الْكَلَامِ لِيَخْلُصُوا أَنفُسَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، وَمِنْهُمْ مَنْ ظَلَّ يَتْحَمِّلُ الْعَذَابَ بَعْدَ الْعَذَابِ وَهُوَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ. رُوِيَ أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَرٍ قَالَ: قَلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَلْغَوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَذَابِ مَا يُعْذَرُونَ بِهِ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ إِنْ كَانُوا لِيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ وَيَجْيِعُونَهُ وَيَعْطِشُونَهُ حَتَّىٰ مَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا مِنْ شَدَّةِ الضُّرِّ الَّذِي بِهِ، حَتَّىٰ أَنْ لِيَعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْفَتْنَةِ، وَحَتَّىٰ يَقُولُوا: أَلْلَاتُ وَالْعَزِيزُ إِلَهُكُمْ مَنْ دُونَ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَحَتَّىٰ أَنْ يَجْعَلَ لِيَمِرَّ بِهِمْ فَيَقُولُونَ أَهْذَا الْجَعْلُ إِلَهُكُمْ مَنْ دُونَ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، إِفْتَدَاءً مِنْهُمْ لَا يَلْغَوْنَ مِنَ

جهده^(١).

صور من تعذيب بلايل رضي الله عنه

وَكَمَثَالٌ عَلَى ذَلِكَ التَّعْذِيبِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ بِلَالٍ بْنِ رِبَاحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَدْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَمَكَّنَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، فَلَمْ يُلْقَ بِالْأَكْلِ مَا كَانَ يَعْانِيهِ مِنْ عَذَابٍ، قَالَ أَبُو هَشَامَ مُتَحَدِّثًا عَنْ لَاقَاهُ بِلَالَّ

من العذاب:

(١) سيرة ابن اسحاق لمحمد بن اسحاق بن يسار ص ١٧٢ - ١٧٣ بتحقيق وتعليق: محمد حميد الله.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

(كان أمية بن خلف يخرج بلا لا إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: [لا والله] لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول - وهو في ذلك البلاء - أحد أحد^(١)).

وروى البلاذري عن عمرو بن العاص قال: مررت ببلال وهو يعذب في رمضان [أي في الرمل الشديد الحرارة من الشمس] ولو أنّ بضعة لحم وضعت عليه لنضجت وهو يقول: أنا كافر باللات والعزى، وأمية مغتاظ عليه فيزيده عذاباً، فيقبل عليه فيدْعَتُ في حلقه؛ فيغشى عليه، ثم يفتق^(٢).

وروى البلاذري أيضاً عن بلال قال: أطعشواني يوماً وليلة، ثم أخر جوني فعذبني في رمضان في يوم حار^(٣).

صور من تعذيب خباب رضي الله عنه

أما خباب بن الأرت رضي الله عنه، فكان تعذيبه على أيدي المشركين لا يقل عن تعذيب بلال، وظل متحملًا العذاب بعد العذاب من ناس ليس في قلوبهم ذرة من رحمة، وهذه نهاذج من العذاب الذي أصابه، قال رضي الله عنه:

(لقد رأيتني يوماً وقد أوقدوا لي ناراً، ثم سلقوني فيها، ثم وضع رجل رجله على صدري فما انتقت الأرض إلا بظيري، ثم كشف خباب عن ظهره فإذا هو قد برص)^(٤).

وفي يوم من الأيام يجتمع عمر بن الخطاب بخباب بحضور عدد من الصحابة، فيسأل عمر

(١) السيرة النبوية لأبي هشام ٣٥٤-٣٥٥، تحقيق: مصطفى السقا وجماعته، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) سبل المدى والرشاد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، ٣٥٧ / ٢، حققه وعلق عليه: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الثانية ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) سبل المدى والرشاد ٣٥٨ / ٢.

(٤) سبل المدى والرشاد ٣٥٩ / ٢.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

ighbaba عما لقي من المشركين، فيقول:

(يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري، فنظر فقال: ما رأيت كاليلوم! قال خباب: لقد أوقدت لي نار، وساحت عليها، فما أطفأها إلا وَدَكَ ظهري -والوَدَكُ: دسم اللحم والشحم)^(١).
ومن العذاب الذي عُذِّبَ به خباب -وقد كان عبداً -أن مولاته أم أنهار علمت بإسلامه وتردده على رسول الله ﷺ، فكانت تأخذ الحديدة -وقد أحنتها -فتضعها على رأسه، وقد أصابه ما أصابه من الآلام من ذلك، وقد شكى ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا له النبي الرحيم بقوله: (اللهم انصر خباباً)، ودعوة النبي ﷺ مستجابة، فما الذي حدث؟
لقد اشتكت مولاته أم أنهار من مرض، فكانت تعوي كما تعوي الكلاب، ووصفوا لها أن تكتوي بالنار، فكان خباب يأخذ الحديدة فيحميها ويقوى بها رأسها. وهكذا يكون الجزاء من جنس العمل.

صور من تعذيب آل ياسر رضي الله عنهم

عُذِّبَ عمار بن ياسر تعذيباً شديداً، فكان بنو مخزوم يخرجون به وبأبيه ياسر وبأمّه سُمية يعذبونهم برمضاء مكة، فيمِّرُّ بهم رسول الله ﷺ فيقول: صبراً آل ياسر؛ موعدكم الجنة^(٢).
وتقتنوا بالتعذيب والقتل، فربطوا سمية بين بعيدين ووجّهت بحرابة في قبّلها وقالوا: إنما أسلمت من أجل الرجال فقتلواها، وقتلوا زوجها ياسرًا، وهما أول قتيلين في الإسلام^(٣). وأماماً عمار، فأعطاهم بلسانه ما أكرهوه عليه، فقيل: يا رسول الله، إن عماراً كفر، فقال رسول الله ﷺ:
[كلا، إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه] فأتى عمار رسول الله ﷺ

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر /٢٢، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثانية =١٤٢٢-٢٠١٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام /١، ٣٥٦-٣٥٧.

(٣) تفسير الألوسي /١٤، ٣١١، حقق هذا الجزء: زهير القاسم وجماعته، الطبعة الأولى ١٤٣١-٢٠١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

وهو يبكي، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول: [ما لك؟ إن عادوا فعد لهم بما قلت]. وفي رواية: انهم أخذوه فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آهتهم بخیر، ثم تركوه. فلما أتى رسول الله ﷺ قال: [ما وراءك] قال: شر، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آهتهم بخیر؛ فنزلت هذه الآية ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكَرَهَ وَقَلْبُهُ مُطَمِّنٌ إِلَيْهِ مَنِ لَّا يَنْهَا وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفُرِ صَدَرَ فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿١٦﴾ سورة النحل^(١).

صور من تعذيب أبي فكيهه

وهذا (أبو فكيهه) واسمه: (أفلح) ويقال: (يسار) كان عبداً لصفوان بن أمية، فلما أسلم عذبه أمية بن خلف، وربط برجله حبلًا، وأمر به فجّر، ثم ألقاه في الرمضاء، وجعل يختنقه، فمر به جعل فقال: أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربّي خلقني وخلقك وخلق هذا الجعل؛ فغلط عليه وجعل يختنقه ومعه أخوه أبي بن خلف يقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره.

ومن ذلك العذاب: أنه أخرجه نصف النهار مقيداً إلى الرمضاء، ووضع على بطنه صخرة، فدلع لسانه، فلم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات، ثم أفاق، وكان يُعذّب حتى لا يدرى ما يقول؛ فمر به أبو بكر رضي الله عنه فاشتراه وأعتقه^(٢).

صحابة آخرون في العذاب

وهكذا الأمر في (صهيب بن سنان الرومي)، و(عامر بن فهيرة)، و(زنيرة)، و(لبية) جارية بني عمرو بن المؤمل، و(أم عنيس)، و(النهدية وابنتها)، و(حامة أم بلال)... أمّا زنيرة، فقد ظلت تحت العذاب حتى عميت، فقال لها أبو جهل: إن اللات والعزى فعلتا بك ما ترين، فقالت - وهي لا تبصر: وما تدرى اللات والعزى من يعبد هما، ولكن هذا أمر من السماء، وربى قادر على أن يرد بصري، فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد، فاشترتها

(١) تفسير الآلوسي .٣١١ / ١٤

(٢) سبل المدى والرشاد .٣٦٠ / ٢

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

أبو بكر رضي الله عنه فأعتقها^(١).

إن كل من يقرأ هذه الروايات وأمثالها، ليقف خاسعاً أمام عظمة الصحابة الذين أصاibهم ما أصاibهم من العذاب الذي انصبّ على المستضعفين من المسلمين صباً، ولم يكن ذلك يحول بين دخول الناس في الإسلام..!

فأية منزلة في السمو بلغها الصحابة رضي الله عنهنَّ؟؟

رضي الله عن الصحابة، وجمعنا وإياهم في جنات النعيم..!



(١) سبل الهدى والرشاد / ٣٦١.

مع الخلفاء الراشدين

هذه وقفات قليلة مع سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ترينا التجرد لدعوة الله، والاهتمام بشؤون الرعية، والحرص على أموال الأمة كيف يكون، كما ترينا التضحية والبذل والعطاء والزهد في أبهى صورة من الصور، وما أحوج المسلمين إلى التذكرة والتذكير بهذه المكرمات الرائعات! لعلنا نزيل شيئاً من الغشاوة عن أعين الناس الذين انطلت عليهم أكاذيب من روايات تاريخية وضعها الشعوبيون الذين فتح بلادهم العرب المسلمون، وزينتها لهم المفترون على تاريخنا، وكان لعدد من المستشرقين أثر في ترويج تلك الأكاذيب عن أفضل خلق الله بعد أنبياء الله ورسله، وما ذكره هنا أمثلة واقعية حية نضعها أمام كل مسلم لعلنا نقتدي بشيء مما كان عليه الخلفاء الراشدون!

إن الدارس لسيرة الخلفاء الراشدين يقف مطأطئ الرأس أمام عظمتهم؛ فقد قاموا بعد موت النبي ﷺ بتسيير شؤون دولة الإسلام، وتسيير أمور الرعية، ونشر دين الله في الآفاق، مهتمين بهدي النبي الكريم بإقامة العدل بين الناس -كل الناس- وإعطاء كل ذي حق حقه. وننظر في سيرة الخلفاء الراشدين مرة أخرى فلا نرى واحداً منهم يريد أن يتولى الخلافة أو إمرة المؤمنين بل كان يتمنى أن يقوم بها غيره؛ ولذلك لم يستخلف أي واحد كان منهم ولداً من أولاده للخلافة، وكانوا يوصون أبناءهم بالابتعاد عن قبول الإمارة أو المسؤولية.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال، وكان تاجراً في الجاهلية، فحين أعلن إسلامه كان عنده أربعون ألف درهم، أنفق خمسة وثلاثين ألفاً منها قبل الهجرة إلى المدينة المنورة على الدعوة الإسلامية، وأخذ خمسة الآلاف الباقية معه لماً صحب النبي ﷺ في هجرته المباركة إلى المدينة، وجعلها تحت تصرف النبي ﷺ، حتى قال النبي ﷺ («ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي

من روائع القصص في تصحيحات الصحابة

بكر». فبكى أبو بكر وقال وهل أنا و مالي إلا لك يا رسول الله^(١).

ولِإِذَا أَرَدْنَا أَن نُعْرِف شَيْئاً عَنْ عَطَائِهِ لِنَشْر دُعَوَةِ الْإِسْلَامِ، نَظَرْنَا إِلَى مَا قَالَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ يُرِيدُ أَن يُسْبِقَ أَبَا بَكْرَ فِي الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ فَقَالَ: (أَمْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَن نَتَصَدِّقُ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عَنِّي مَالاً)، فَقَلَّتْ: الْيَوْمُ أَسْبَقَ أَبَا بَكْرَ إِنْ سَبَقَتْهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجَئْتُ بِنَصْفِ مَالِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قَلَّتْ مُثْلُهُ، وَأَتَى أَبَا بَكْرَ بِكُلِّ مَا عَنْهُ، فَقَالَ: (يَا أَبَا بَكْرَ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قَالَ: أَبْقَيْتَ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ. قَلَّتْ: وَاللَّهِ لَا أَسْبَقْتُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبْدَأْمَا).

وَلِمَا وَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخَلَافَةَ قَامَ بِأَعْبَائِهَا خَيْرَ مَقَامٍ، وَقَدْ عُرِفَ بِشَجَاعَتِهِ وَتَوَاضِعِهِ، فَكَانَ يَنْصُفُ الرُّعْيَةَ مِنْ نَفْسِهِ. وَلِمَا دَنَا أَجْلُهُ أَوْصَى ابْنَتَهُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ بِقَوْلِهِ: (يَا بَنِيَّ، إِنَّا وَلِنَا أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ نَأْخُذْ لَنَا دِينَاراً وَلَا درَهَماً وَلَكُنَا أَكْلَنَا مِنْ جَرِيشِ طَعَامِهِمْ فِي بَطْوَنَنَا، وَلَبِسْنَا مِنْ خَشَنِ ثِيَابِهِمْ عَلَى ظَهُورِنَا، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدَنَا مِنْ فِي الْمُسْلِمِينَ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِلَّا هُذَا الْعَبْدُ الْحَبْشَيُّ، وَهُذَا الْبَعْرِيُّ النَّاضِحُ، وَجَرَدُ هَذِهِ الْقَطِيفَةِ؛ فَإِذَا مَتَّ فَابْعَثِي بَهْنَّ إِلَى عَمْرٍ) ^(٢).

وَمَا إِنْ مَاتَ حَتَّى نَفَدَتِ السَّيْدَةِ عَائِشَةَ وَصِيَّةُ أَبِيهَا. فَلِمَا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَى عَمْرِ بْكَى وَهُوَ يَقُولُ: لَقَدْ أَتَعْبَ مِنْ بَعْدِهِ! رَحْمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرَ، لَقَدْ أَتَعْبَ مِنْ بَعْدِهِ) ^(٣).

وَلَمْ يَكْتُفِ أَبَا بَكْرُ بِهَذَا، بَلْ أَوْصَى ابْنَتَهُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: (اَنْظُرُوا كُمْ أَنْفَقْتُ مِنْذُ وَلَيْتَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَاقْضُوهُ) ^(٤).

(١) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيixin برقم ١٤/١٢، ٧٤٤٦، وابن ماجه في المقدمة (باب: في فضائل أصحاب رسول الله) -فضل أبي بكر الصديق- رقم ٩٤، ص ١٦.

(٢) رواه الترمذى في (باب: مناقب أبي بكر و عمر رضي الله عنهما)، رقم ٣٧٨٥-٣٧٨٧-٣٧٨٨-٣٧٨٩، وهو حديث حسن.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٧٣، اعنى به وعلق عليه: محمود رياض الحلبي، الطبعة السادسة ١٤٢٥-٢٠١٤، دار المعرفة، بيروت.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لأبن عساكر: ٣٧٦/٣.

(٥) إمام الأئمة في قيادها خليفة رسول الله أبو بكر الصديق تأليف الدكتور: حامد محمد الخليفة، ٢٠٠٢/٢،

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

وأوصى بأن يكفن بثوابين قد咪ين وقال: (انظروا ثوابي هذين فاغسلوهما، وكفوني فيهما؛ فإنّ الحي أحوج إلى الجديـد من الميت)^(١).

ومات رضي الله عنه، وما ترك ديناراً ولا درهماً؛ لأنّه أنفق ماله كله في سبيل الله.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ولي أمراً المؤمنين بعد أبي بكر: عمر بن الخطاب، فقام بإدارة دولة الإسلام خير قيام، واتسعت الفتوحات الإسلامية في عهده، واهتم بشؤون الرعاية، وقد عُرف بزهده بين الناس، فكان طعامه الملح والزيت والخل! وإن ينسَ الناس شيئاً فلن ينسوا يوم دخل على ابنته حفصة أم المؤمنين، فقدمت له مرقاً بارداً وخبزاً، وصبت في المرق زيتاً، فلم يذق منه شيئاً وقال: أدمان في إناء واحد! لا أذوقه حتى ألقى الله!

وفي عام الرمادـة - عام القحط الشـديد على المسلمين - صار يأكل كما يأكل فقراء المسلمين، وقال قوله التي وعاها سمع الزـمن: كيف يعنيـني شأن الرـعاية إذا لم يصبـني ما أصـابـهم، وقد حـلـفـ لا يـذـوقـ سـمـناً ولـحـماً حتـى يـحـيـاـ النـاسـ، وأـوـفـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ بـهـ أـلـزـمـ بـهـ نـفـسـهـ، وـكـانـ فـيـ تـلـكـ السـنـةـ يـبـكيـ وـيـدـعـوـ اللـهـ بـقـوـلـهـ: اللـهـمـ لـاـ تـجـعـلـ هـلـاكـ أـمـةـ مـحـمـدـ عـلـىـ يـدـيـ!.

ولقد كان رضي الله عنه كثير الصيام (فلما كان زمان الرمادـة، إذا أمسى أتي بخبز قد ثـرـدـ بالـزـيـتـ، إـلـىـ أنـ نـحـرـواـ يـوـمـاـ مـنـ الأـيـامـ جـزـورـاـ، فـأـطـعـمـهـ النـاسـ، وـغـرـفـواـ اللـهـ طـبـيـهـ، فـأـتـيـ بـهـ، فـإـذـاـ فـدـرـ [قطـعةـ] مـنـ سـنـامـ وـمـنـ كـبـدـ، فـقـالـ أـنـىـ هـذـاـ؟ قـالـ: يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ مـنـ الـجـزـورـ الـتـيـ نـحـرـنـاـهـ الـيـوـمـ، قـالـ: بـخـ بـخـ، بـئـسـ الـوـالـيـ أـنـ أـكـلـ طـبـيـهـ، وـأـطـعـمـهـ النـاسـ كـرـادـيسـهـ^(٢)، إـرـفـعـ هـذـهـ الـجـفـنـةـ، هـاتـ لـنـاـ غـيرـ هـذـاـ الـطـعـامـ. قـالـ: فـأـتـيـ بـخـبـزـ وـزـيـتـ قـالـ: فـجـعـلـ يـثـرـدـ وـيـكـسـرـ ذـلـكـ الـخـبـزـ، ثـمـ قـالـ: وـيـحـكـ يـاـ يـرـفـاـ [اسمـ غـلامـ]: إـحـمـلـ هـذـهـ الـجـفـنـةـ تـأـتـيـ بـهـ أـهـلـ بـيـتـ بـثـمـنـ [مـوـضـعـ وـقـفـ عـمـرـ]؛ فـأـتـيـ لـمـ آـتـهـمـ مـنـذـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ،

الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧، عمان، الأردن.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطبي ص ٧٧.

(٢) الكراطيـسـ رـؤـوسـ العـظـامـ.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

وأحسبهم مقرين؛ فضعها بين أيديهم^(١).

وفي عام الرمادة هذا بذل جهده ليطعم الرعية، فكتب إلى الأمسار يطلب منهم أن يرسلوا إليه ما يستطيعون إرساله من الطعام والكساء لإغاثة الناس؛ فأرسلوا إليه الدقيق والدهن والكساء، واستعن بهم كان معه، فنحرروا الإبل، وطُبخ الطعام، وكان يقوم بتوزيعه على الناس بنفسه. ! أمّا عن حرصه على أموال الأمة، فحدث عن ذلك ولا حرج، وهذا مثالان على ذلك من أمثلة كثيرة:

١ - كان معيقib مسؤولاً عن بيت مال المسلمين في عهد عمر، فكسح [أي كنس] بيت المال يوماً، فوجد فيه درهماً، فدفعه إلى ابن صغير لعمر، ويحدثنا [معيقib] عَنْهَا كأن بعد ذلك فيقول: ثم انصرفت إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني؛ فجئت، فإذا الدرهم في يده فقال: ويحك يا معيقib! أوَجِدْتَ عَلَيْ في نفسك شيئاً؟ أو قال: ما لي ولك؟ !! قلت: وما ذاك؟ قال: أردت أن تخاصمني أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيمة؟^(٢).

٢ - روى ابن الأثير عن مولى لعثمان بن عفان قال: (بينا أنا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صائف، إذ رأى رجلاً يسوق بكرين، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح. ثم دنا الرجل فقال: انظر من هذا؟ فنظرت فقلت: أرى رجلاً معتداً برداءه، يسوق بكرين. ثم دنا الرجل فقال: انظر. فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقلت: هذا أمير المؤمنين. فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فإذاه لفتح السموم، فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال: ما أخر جك هذه الساعة؟ فقال: بكران من إبل الصدقة تخلفاً، وقد مضي بإبل الصدقة، فأردت أن

(١) طبقات ابن سعد ٣/٣١٢، ٣١٢/٢٩٠ طبعة الخانجي، والرياض النهر للمحب الطبرى ١/٣١٥.

(٢) رحمك الله يا بن الخطاب! درهم واحد تحشى أن تخاصمك أمة محمد فيه يوم القيمة! فإذا يقول لنفسه بعض حكام البلاد العربية والإسلامية الذين يغضبون الطرف عن السراق الذين يسرقون أموال الأمة وينحرجونها خارج بلادهم إلى البلاد الأوربية وغيرها؟
كيف تخاصبهم أمتهم أمام الله (يوم يقوم الناس لرب العالمين).

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

الحقهم بالحمى، وخشيته أن يضيعها، فيسأله عنهم الله عثمان: يا أمير المؤمنين، هلم إلى الماء والظلل ونكيفك. فقال: عد إلى ظلك. فقلت: عندنا من يكفيك! فقال: عد إلى ظلك. فمضى، فقال عثمان: من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا!^(١).

وأماماً عن تفقيده أحوال الرعية، فحدث عن ذلك ولا حرج: مَرْضِيَّةٌ بِرْحَبَةٌ من رحاب المدينة فإذا بيت شعر ينبعث منه انين امرأة، وعلى بابه رجل قاعد، فسلم عليه عمر، وسألة من هو؟ فأجابه أنه رجل من الباذية جاء يصيّب من فضل أمير المؤمنين؛ فقال عمر: ما هذا الصوت الذي أسمعه في البيت؟ قال الرجل - وهو لا يدرى أنه عمر أمير المؤمنين -: انطلق رحمك الله حاجتك ولا تسأل عما لا يعنيك، فألحّ عليه عمر يريد معرفة الأمر؛ فأجابه: امرأة تمخض (أي على وشك الولادة) وليس عندها أحد؛ فعاد عمر إلى منزله وقال لأمرأته ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟ فأخبرها الخبر، وأمرها أن تأخذ معها ما يحتاج إليه الوليد الجديد من ثياب، وما تحتاج إليه المرأة من دهن، وأن تأخذ معها قدرًا وتضع فيه حبوبًا وسمناً. فجاءت به، فحمل القدر ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت، وقال لأمرأته: أدخلني إلى المرأة وجلس هو مع الرجل، وأوقد النار وطبخ ما جاء به، والرجل جالس لا يعلم من هو. وولدت المرأة، فقالت زوجة عمر من داخل البيت: بشّر يا أمير المؤمنين صاحبك بغلام! فلما سمع الأعرابي ذلك علم انه مع أمير المؤمنين، فكأنه هابه؛ فأخذ يبتعد عنه وعمر يقول له: مكانك كما أنت، ثم حمل القدر وأمر زوجته أن تأخذه لتطعم المرأة. فلما أكلت ناول الرجل القدر وقال له: كل وبحك، فإنك سهرت الليل كله، ثم خرجت زوجته، وقال للرجل: إذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلحك. فلما أصبح أتاها؛ ففرض لأبنه في الذرية وأعطاه)^(٢).

(١) أسد الغابة لابن الأثير ٤/١٨٢، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، الطبعة الأولى ١٤١٧-١٩٩٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، والرياض النشرة ١/٣٩٤.

(٢) من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص ٥٩-٦٠، وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية ١٣٢ / ٧ بلفظ مقابر.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

وروى المحبّ الطبرى (أنّ عمر لما رجع من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس ليعرف أخبارهم، فمر بعجزوز في خبابها فقصدتها فقالت: يا هذا، ما فعل عمر؟ قال: هوذا قد أقبل من الشام. قالت: لا جزاء الله عني خيراً، قال: ويحك! ولم؟ قالت: لأنّه والله ما نالني من عطائه منذ ولّى إلى يومنا هذا دينار ولا درهم. فقال: ويحك ما يدرى عمر حalk وأنت في هذا الموضع؟ فقالت: سبحان الله! ما ظننت أن أحداً يلي على الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغاربها. قال: فأقبل عمر وهو يبكي ويقول: وأعمراه! واصحوماه! كل واحد أفقه منك يا عمر، ثم قال لها: بكم تبيعني ظلامتك منه فإني أرحمه من النار؟ قالت: لا تهزأ بنا يرحمك الله، قال لها عمر: لست بهزاء، فلم يزل بها حتى اشتري ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً، فبينا هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب وابن مسعود فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت: واسؤاته! شتمت أمير المؤمنين في وجهه؟! فقال لها عمر: لا عليك يرحمك الله؛ ثم طلب عمر قطعة جلد يكتب فيه فلم يجد، فقطع قطعة من فروة كان لبسها وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اشتري عمر من فلانة ظلامتها منذ ولّى إلى يومنا هذا بخمسة وعشرين ديناراً، فما تدعى عند وقوفي في المحشر بين يدي الله تعالى، فعمر منه بريء. شهد على ذلك علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، ثم دفع الكتاب إلى علي وقال: إذا أنا تقدمتك -أي متُّ قبلك- فاجعلها في كفني) (١).

أما عن حرية الرأي، فكان خير مثل يحتذى في ذلك، فدعا الناس إلى إبداء آرائهم فيه وفي حكمه، ولمّا أخوف من حرية الرأي إذا كان الحاكم عادلاً في حكمه، ويتحقق المساواة بين الناس، وهذه واقعة ترينا حرية الرأي في عهد عمر كيف كانت، قال يوماً على المنبر: يا معاشر المسلمين، ماذا تقولون لو ملت برأسى إلى الدنيا هكذا (وميل رأسه)؟ فقام إليه رجل فسلّ سيفه وقال أجل! كنا نقول بالسيف هكذا (وأشار إلى قطعه) فقال: إياي تعنى بقولك؟ قال نعم إياك أعني بقولي! فنهره عمر ثلثاً وهو

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

ينهر عمر! فقال عمر: رحمك الله! الحمد لله الذي جعل في رعيتي من إذا تعوجت قومي^(١).

ولقد كان رضي الله عنه كثير الجود وإنفاق المال في سبيل الله، وقد قال الأعمش:

(كنت يوماً عندك، فأتي باثنين وعشرين ألف درهم، فلم يقم من مجلسه حتى فرقها، وكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به، وكان كثيراً ما يتصدق بالسكر، فقيل له في ذلك فقال: إني أحبه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَنَنْسَأُوا الْرَّحَقَ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُونَ وَمَا نَفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٢)).

وكان رضي الله عنه يخاف من الموت ويكثر من ذكره، وقد نُقشت على خاتمه: (كفى بالموت واعظاً يا عمر)^(٣)، وكان رضي الله عنه يقول: كل يوم يقال: مات فلان وفلان، ولا بد من يوم يقال فيه: مات عمر^(٤).

عثمان بن عفان رضي الله عنه

كان أمير المؤمنين عثمان يُضرب به المثل في جوده وكرمه وعطائه وسخائه وإنفاقه في سبيل الله. نظر إلى المسلمين بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، فنجدهم في حاجة ماسة إلى الماء الصالح للشرب، وكان بالمدينة بئر تُسمى (بئر رومة) يملكها يهودي، وقد ندب النبي ﷺ إلى شرائها؛ فاشترتها عثمان من اليهودي وسبّلها للمسلمين.

ولما أراد النبي ﷺ الخروج إلى غزوة تبوك، ندب الصحابة إلى تجهيز الغزوة وقال: «من جهز

(١) الرياض النبرة ١ / ٣٨١.

(٢) الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، ص ٦٤، دار الصحابة بطنطا، نقلًا عن صلاح الأمة في علو الهمة. جمع وترتيب: سيد بن حسين العفاني ٣/٧١٥-٧١٦، الطبعة الثامنة ١٤٣١-٢٠١٠، دار العفاني، القاهرة.

(٣) تهذيب الكمال للزمي ٢٢٣/٢١، تحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ١٤٠٠-١٩٨٠، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي ص ١٦٧ بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة - حاشية الحق - الطبعة العاشرة، دار السلام، القاهرة.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

جيش العسرا فله الجنة». فجهزه عثمان^(١). فجاء بـألف دينار ذهباً صبّها في حجر النبي ﷺ، والنبي الكريم يقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم» يرددتها مراراً^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قطح المطر على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فاجتمع الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: السماء لم تطر، والأرض لم تنبت، والناس في شدة شديدة، فقال أبو بكر الصديق: انصر فوا فإنكم لا تمسون حتى يفرج الله تعالى عنكم، فما لبثنا إلا قليلاً أن جاء أجراء عثمان بن عفان رضي الله عنه من الشام، فجاءته مائة راحلة برأ، أو قال: طعاماً، فاجتمع الناس إلى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقرعوا عليه الباب، فخرج إليهم عثمان رضي الله عنه في ملأ من الناس، فقال: ما تشاوون؟ قالوا: الزمان قد قطح، والسماء لا تطر، والأرض لا تنبت، والناس في شدة شديدة، وقد بلغنا أن عندك طعاماً، فبعناه حتى نوسع على فقراء المسلمين. قال عثمان: حباً وكراهة، ادخلوا فاشتروا؛ فدخل التجار، فإذا الطعام موضوع في دار عثمان رضي الله عنه، فقال: يا عشر التجار، كم تربحوني على شرائي من الشام؟ قالوا: للعشرة اثنا عشر، فقال عثمان رضي الله عنه: قد زادوني، فقالوا: العشرة أربعة عشر، فقال عثمان: قد زادوني، قالوا: للعشرة خمسة عشر؛ قال عثمان: قد زادوني. قال التجار: يا أبا عمرو؛ ما بقي في المدينة تجار غيرنا، فمن ذا الذي زادك؟ فقال: زادني الله تعالى بكل درهم عشرة، أعندهكم زيادة؟ فقالوا: اللهم لا. قال: فإني أشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقة على فقراء المسلمين. فقال ابن عباس رضي الله عنه: فرأيت من ليتي رسول الله ﷺ - يعني في المقام - وهو على برذون أبلق، عليه حلة من نور، في رجليه نعلان من نور، وبيده قضيب من نور، وهو مستعجل، فقلت: يا رسول الله، لقد اشتـد شـوقـي إلـيـكـ و إلـىـ كـالـامـكـ، فـأـيـنـ تـبـادرـ إـذـنـ؟ـ قالـ: يا ابنـ عـلـيـسـ، إـنـ حـسـنـتـ بـنـ عـفـانـ تـصـدـقـ بـصـدـقـةـ، وـإـنـ اللهـ تـعـالـىـ قـدـ قـبـلـهـاـ مـنـهـ، وـزـوـجـهـ بـهـ عـرـوـسـاـ فـيـ وـغـيرـهـ.

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: مناقب عثمان بن عفان) ص ٦٢١.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده بسنده صحيح، رقم ٢٠٥٠٨، والحاكم في المستدرك ١١٠ / ٣ وغيره.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

الجنة، وقد دعينا إلى عرسه^(١).

وكان رَحْمَةُ اللَّهِ يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل في بيته فیأكل الخل والزيت^(٢).

وكان يلبس الإزار الغليظ وينام على الحصير، ويقيل في المسجد؛ فيقوم وأثر الحصير قد بدا في جنبه وهو أمير المؤمنين^(٣)!

ومن فضائله رَحْمَةُ اللَّهِ: أن الفتوات اتسعت في عهده، وعم الرخاء، حتى قال الحسن البصري: (ادركت عثمان على ما نعموا عليه، قل ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً، يقال لهم: يا معاشر المسلمين اغدوا على أطعياتكم، فياخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على أرزاقكم فياخذونها وافرة، ثم يقال لهم اغدوا على السمن والعسل، الاعطيات جارية، والارزاق دارة، والعدو متقوى، وذات البين حسن، والخير كثير، وما من مؤمن يخاف مؤمناً، ومن لقيه فهو أخوه...)^(٤).

ومن أفضل ما وقع في خلافته: جمع القرآن الكريم، فقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهده بعد أن كثرت الفتوحات، وأخذ كل قطر بقراءة واحد من الصحابة من أقام بينهم، وكان بين القراء شيء من الاختلاف في وجوه القراءة وطريقة الأداء، إذ كان ذلك مرخصاً به في عهد النبي ﷺ، لكن المسلمين الجدد لم يفهموا حقيقة هذه الرخصة، فحصل النزاع بينهم، وادعى كل فريق منهم أنه على الحق. وعلم أمير المؤمنين عثمان بهذه، فاستشار الصحابة في جمع القرآن على مصحف واحد فوافقوه، فشكل لجنة للقيام بالجمع، وأتمت اللجنة القيام بهذه المهمة، فنسخت المصاحف وأرسلت إلى عدد من الأقاليم ومنها الكوفة والبصرة والشام... وأبقى أمير المؤمنين عنده مصحفاً في المدينة. وأرسل رَحْمَةُ اللَّهِ في الأكثر الأغلب مع كل مصحف حافظاً. وهذا المصحف

(١) كتاب الشريعة للأجري ص ٧١٣-٧١٤، رقم ١٤٨٦، الطبعة الرابعة ١٤٣٢-١١٢٠، مؤسسة الريان، بيروت.

(٢) حلية الأولياء ١ / ٦٠.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٧ / ٢٠٦.

من روائع القصص في تصحيحات الصحابة

هو الذي بين أيدي المسلمين في العالم الإسلامي كله من غير زيادة فيه ومن غير نقص . فرضي الله عن سيدنا عثمان الذي وأد الفتنة في مهدها؛ خشية أن يتفرق المسلمون فيه^(١).

وكان رضي الله عنه كثير الذكر للموت، ول يوم القيمة، وقصاص الله من الخلق، وقد غضب يوماً على عبد له فعرك أذنه، وتذكر عثمان القصاص يوم القيمة، فندم على ما كان منه، وجاء إلى عبده يقول له: (إني كنت قد عركت أذنك فاقتصرت مني)، ويستحيي العبد من كلام أمير المؤمنين، فيلتح عليه أن يفعل قائلاً له: شد شد، يا حبذا قصاص الدنيا لا قصاص الآخرة^(٢).

هذه الأفعال العظيمة لأمير المؤمنين عثمان لم ترق لعبد الله بن سباء، فعمل على إثارة الفتنة ضده، فجاءت الغوغاء من مصر، واقتحموا داره، وقتلوا ونبوا كل ما كان في داره، ثم نهبوا بيت المال ! وكم كان حزن الصحابة على قتله عظياً! رضي الله عن أمير المؤمنين عثمان!

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وهو ابن عم النبي ﷺ. ولد قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، ونشأ وترعرع في بيت النبوة، وهو أول من أسلم من الصبيان، وأحد شجعان الصحابة، قتل صناديد الشرك، وطواigit الكفر لما تنازلوا معه، وهو أحد البدرين الذين غفر الله لهم، وقد أعطاه النبي ﷺ راية المهاجرين في مواطن عدة، وعرف بالصدق والصراحة، وصلة الرحم والسعاد، وكثرت فضائله حتى قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسياني، وأبو علي النسائي بوري! لم يرد بحق أحد من الصحابة في الأسانيد الحديدة أحسن مما في علي

ولقد ضرب ربيعة أروع الأمثلة بالزهد أيضاً فاستهان بزخارف الحياة الدنيا بعد أن جاءت إليه

منفادة بمباهجها ومغرياتها، حتى قال فيه عمر بن عبد العزيز:

(١) لزيادة الاطلاع ينظر: علوم القرآن للمؤلف، الطبعة الثانية ١٤٢٩-٢٠٠٨.

(٢) ينظر: التذكرة الحمدونية لأحمد بن الحسن بن محمد /٣، ٢١٢، دار صادر، بيروت.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٧/٩١.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

(أَزْهَدَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ) ^(١١).

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي لِبَاسِهِ وَتَصْرِفَاتِهِ خَيْرٌ مَعْلَمٌ: فَقَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ يَوْمًاً وَعَلَيْهِ رَدَاءٌ وَإِزارٌ
قَدْ وَثَقَهُ بِخَرْقَةٍ! فَسُئِلَ: لِمَاذَا كَانَ هَذَا لِبَاسَهُ؟ فَقَالَ: (إِنَّمَا أَبْلَسَ هَذِينَ الثَّوَبَيْنِ لِيَكُونَا أَبْعَدُ لِي مِنَ
الْزَّهْوِ، وَخَيْرًا لِي فِي صَلَاتِي، وَسَنَةً لِلْمُؤْمِنِ) ^(٢).

وكان رضي الله عنه - وهو أمير المؤمنين - إذا احتاج شيئاً خرج بنفسه إلى السوق فاشترى وحمله على عاتقه، وكان يلبس قميصاً ثمنه ثلاثة دراهم، وقد قال رضي الله عنه: (أأقبح من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر؟ أو أكون أسوة لهم في خشونة العيش، فيما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، والمرسلة شغليها تقدمها) ^(٣).

ويقف الإنسان متعجبًا من عظمته في زهذه يوم خرج إلى السوق وفي يده سيفه وهو يقول:
(من يشتري مني سيفي هذا؟ فلو كان عندي أربعة دراهم أشتري بها إزارًا ما بعثه) (٤).
أما عدله وانصياعه لحكم القاضي، فقد سار بذكرة الركبان -كما يقال-. وإن ينس الناس
شيئًا فلن ينسوا خاصمته يهوديًا في درع -وهو أمير المؤمنين- وأن قاضيه [شريحًا] قضى بالدرع
لليهودي؛ لأنَّ أمير المؤمنين عليًّا لم تكن معه بينة، وقبلَ أمير المؤمنين عليًّا الحكم بصدر رحب؛
فكان هذا من أسباب انضواء اليهودي تحت لواء الإسلام.

ونظر إلى الأموال التي كانت تردد إلى بيت المال في خلافته، فنراها كثرة كاثرة فيقوم بتوزيعها على المسلمين في وجهها الشرعي: فقد أعطى في سنة واحدة ثلاثة مرات. ولما امتلاك بيت المال بالذهب والفضة قام بتوزيعها على الناس وهو يقول: (يا صفراء ويا بيضاء غري غيري، ها، وها،

٦) البداية والنهاية لابن كثير

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨/٤

(٣) التذكرة الحمدونية: محمد بن الحسن ٩٩/١، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، الطبعة الأولى ١٩٩٦، دار صادر، بيروت.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير / ٨

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

حتى ما بقي منه دينار ولا درهم^(١).

وقضى الله له مع كل ما قدم للإسلام أن يكرمه بالشهادة: فقد خرج لأداء صلاة الصبح، فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة، الصلاة، فطعنه عبد الرحمن بن ملجم، وفاضت روحه إلى الله، ولم يترك ديناراً واحداً إلا سبعمائة درهم فضلـت من عطائه، فأراد أن يشتري بها خادماً^(٢).

ولقد وصف ضرار بن ضمرة سيدنا علياً وصفاً هو القمة في الروعة، بين فيه ما كان عليه من منزلة علمية رفيعة، وقيام لليل وزهد في الدنيا...

فعن أبي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنـهما لضرـار بن ضـمرة: صـف لي عـليـاً، قال: أـوـتعـفـينـي؟ قال: بل صـفـهـ! قال: أـوـتعـفـينـي؟ قال: لا أـعـفـيكـ. قال: أـمـا إـذـنـ فإـنهـ - وـالـلـهـ - كـانـ بعيد المدى، شـدـيدـ القـوىـ، يـقـولـ فـصـلـاـ، وـيـحـكـمـ عـدـلـاـ، يـتـفـجـرـ الـعـلـمـ مـنـ جـوـانـبـهـ، وـيـنـطـقـ بـالـحـكـمـةـ منـ نـوـاحـيـهـ، يـسـتوـحـشـ مـنـ الدـنـيـاـ وـزـهـرـتـهـ، وـيـسـتـأـنـسـ بـالـلـلـيـلـ وـظـلـمـتـهـ، كـانـ - وـالـلـهـ - غـزـيرـ الدـمـعـةـ، طـوـيلـ الـفـكـرـةـ، يـقـلـبـ كـفـهـ، وـيـخـاطـبـ نـفـسـهـ، يـعـجـبـهـ مـنـ الـلـبـاسـ مـاـ خـشـنـ، وـمـنـ الطـعـامـ مـاـ جـشـبـ^(٣)، كـانـ - وـالـلـهـ - كـأـحـدـنـاـ: يـجـبـيـنـاـ إـذـاـ سـأـلـنـاهـ، وـيـبـتـدـئـنـاـ إـذـاـ أـتـيـنـاهـ، وـيـأـتـيـنـاـ إـذـاـ دـعـونـاهـ، وـنـحـنـ - وـالـلـهـ - مـعـ تـقـرـيـبـهـ لـنـاـ، وـقـرـيـبـهـ مـنـاـ، لـاـ نـكـلـمـهـ هـبـيـةـ، وـلـاـ نـبـتـدـئـهـ لـعـظـمـهـ. إـنـ تـبـسـمـ فـعـنـ مـثـلـ الـلـؤـلـوـ الـمـنـظـوـمـ، يـعـظـمـ أـهـلـ الـدـيـنـ، وـيـحـبـ الـمـساـكـيـنـ، لـاـ يـطـمـعـ الـقـوـيـ فـيـ باـطـلـهـ، وـلـاـ يـأـسـ الـضـعـيفـ مـنـ عـدـلـهـ، وـأـشـهـدـ بـالـلـهـ! لـقـدـ رـأـيـهـ فـيـ بـعـضـ مـوـاقـفـهـ، وـقـدـ أـرـخـيـ الـلـيـلـ سـجـوـفـهـ^(٤)، وـغـارـتـ نـجـوـمـهـ، وـقـدـ مـثـلـ فـيـ مـحـرـابـهـ قـاـبـضاـ عـلـيـ لـحـيـهـ، يـتـمـلـلـ تـلـمـلـ السـلـيمـ^(٥)، وـيـكـيـ بـكـاءـ الـحـزـينـ، وـكـأـيـ أـسـمـعـهـ، وـهـوـ يـقـولـ: يـاـ دـنـيـاـ!، أـبـيـ

(١) حلية الأولياء ٨١ / ١.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ٦/٣٧٣، رقم ٣٢٠٩٦، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) جشب: غلط.

(٤) سجوفه: سترة.

(٥) اللديغ أو الجريح المشرف على الموت، سموه به تفاؤلاً بالسلامة.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

تعرّضت؟ أم لي تشوفت! هيئات هيئات! غري غيري! قد بتتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك! فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير! آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق!.

قال: فذرفت دموع معاوية رضي الله عنه حتى خرت على لحيته فيها يملكتها، وهو ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء. ثم قال معاوية: رحم الله أبا الحسن! كان -والله- كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ^(١) عبرتها، ولا يسكن حزنه^(٢).
رضي الله عن الخلفاء الراشدين، فقد كانوا فرقة عين الدنيا بحق، ساسوا الرعية بالعدل والمساوة، وكان همهم الآخرة، وما اتخذوا الدنيا إلا جسراً للآخرة.



(١) رقا الدمع: جفّ وانقطع.

(٢) مختارات من أدب العرب لأبي الحسن علي الحسني الندوبي ص ١٩-٢٠، نقلًا عن كتاب: صفة الصفوة لابن الجوزي ١٩٦١، دار الكتب العلمية، بيروت.

نماذج من جهاد الصحابة رضي الله عنهم

علم الصحابة بما أعد الله للمجاهدين من أجر عظيم بما ورد في القرآن الكريم، وبما قاله النبي الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه، فانطلقوا مجاهدون في سبيل الله لا يلعون على شيء، وقد أذهل جهادهم كل من درس سيرتهم. ولما كانت البطولات التي قدمها الصحابة كثيرة كثيرة، فنكتفي هنا بذكر شيء يسير منها:

الزبير بن العوام رضي الله عنه

إن الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، اشترك في كل غزوة غزاها النبي ﷺ، وقاتل صناديد الكفر في غزوات بدر وأحد وفتح مكة وغير ذلك، ففي غزوة بدر فعل الأفاعيل بالشركين: فقد لقي عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، فحمل عليه الزبير بالعنزة^(١)، فطعنه في عينيه فمات^(٢). ولما انتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه ظل مجاهد في سبيل الله. يقول إحدى عينيه مع ضيق ذلك المكان. ولما انتقال النبي ﷺ إلى جوار ربه ظل مجاهد في سبيل الله. يقول

ابن كثير متحدثاً عن شجاعة الزبير يوم اليرموك:
 (...) فاجتمع إليه [أي إلى الزبير] جماعة من الابطال يومئذ فقالوا: ألا تحمل فتحمل معك؟
 فقال: إنكم لا تثبتون، فقالوا: بل! فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا، وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاءوا إليه مرة ثانية، ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه، وفي رواية جرح^(٣).

(١) العترة كالمعركة، وهي أطول من المعركة وأقصر من الرمح، في أسفلها حديدة كحديدة الرمح يتوجه عليها الشيش الكبير. ينظر صحيح البخاري في كتاب المغازي (باب ١٢)، رقم ٣٩٩٨، ص ٦٧٥.

(٢) ينظر صحيح البخاري في كتاب المغازي (باب ١٢)، رقم ٣٩٩٨، ص ٦٧٥.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١١/٧.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

وهذا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أبلى بلاءً عظيماً في غزوات النبي ﷺ، ودافع عن النبي دفاعاً أذهل كل من رأه في دفاعه عنه في غزوة أحد، وقد وقى النبي الكريم بنفسه، واتقى النيل عنه بيده فشلت أصبعه، وأصابه من الجراحات أربع وعشرون جراحة، وقد قال النبي ﷺ حينذاك: «أوجب طلحة»^(١) أي: وجبت له الجنة.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (لما كان يوم أحد، وولى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثنى عشر رجلاً من الأنصار، وفيهم طلحة بن عبيد الله، فأدركهم المشركون، فالتفت رسول الله ﷺ وقال: «من القوم؟». فقال طلحة: أنا! قال رسول الله ﷺ: «كما أنت»، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله! فقال: «أنت»؛ فقاتل حتى قُتل! ثم التفت فإذا المشركون فقال: «من القوم؟». فقال طلحة: أنا. قال: «كما أنت». فقال رجل من الأنصار أنا. فقال: «أنت». فقاتل حتى قُتل، ثم لم يزل يقول ذلك، ويخرج إليهم رجل من الأنصار فيقاتل قاتل من قبله، حتى يُقتل، حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله، فقال رسول الله ﷺ: «من القوم؟». فقال طلحة أنا. فقاتل طلحة قاتل الأحد عشر حتى ضربت يده، فقطعت أصابعه، فقال حسّ! فقال رسول الله ﷺ «لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون». ثم رد الله المشركين^(٢).

مصعب بن عمير رضي الله عنه

أعطى النبي ﷺ الراية لمصعب بن عمير في غزوة أحد، وكان النصر حليف المسلمين في الجولة الأولى من المعركة، وقد كان عليه الصلاة والسلام قد وضع خسرين من الرماة على الجبل وأمرهم أن لا يغادروه، ولما كانت الجولة الأولى في صالح المسلمين ظنّ الرماة أنّ المعركة قد انتهت لصالح

(١) رواه الترمذى في (باب: مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله) وهو حديث حسن، رقم ٣٧٣٨، ص ٨٥٠.

(٢) سنن النسائي (باب: ما يقول من يطعن العدو)، رقم ٣١٤٩، ص ٤٨٦. ولفظ (حسّ) في معنى قوله أَوْه..!

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

ال المسلمين، فنزل أربعون منهم لأخذ الغنيمة، والتف المشركون عليهم فقتلوا من بقي على الجبل، وانقضوا على المسلمين من الخلف، فانقلب النصر إلى هزيمة، وتعرضت حياة النبي ﷺ إلى الخطر، ومصعب ومن معه يدافعون عن النبي ﷺ حتى استشهد. ويصف ابن مسعود كيف استشهد مصعب فيقول:

(حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمين ثبت به مصعب فأقبل ابن قميئه، وهو فارس، فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل]، الآية، وأخذ اللواء بيده اليسرى، وحنا عليه، فضرب يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضممه بعضديه إلى صدره وهو يقول: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، الآية.

ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء^(١).

هكذا استشهد مصعب وعمره أربعون سنة، وجعل الله ما جاء على لسانه **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾**

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ آية يتلوها المسلمون آناء الليل وأطراف النهار.

وقف رسول الله ﷺ عليه وهو يتلو قوله تعالى: **﴿إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا سَأَلُوكُمْ مَا عَاهَدُوكُمْ إِلَّا رَسُولُكُمْ** وَقَنْتُمْ مَنْ قَضَى تَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنَظِّرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا^(٢).

ولما حان دفعه نظر المسلمين إليه وعليه كساء غليظ خشن يسمى (نمرة) إذا غطوا بها رأسه، خرجت رجلاته، وإذا غطوا رجليه خرج رأسه، ونظر إليه الرسول الرحيم وهو يقول: «غطوا بها رأسه، واجعلوا على رجليه الإذخر»^(٣). وهو نبات طيب الرائحة.

وقضي الأيام، ويفتح المسلمون البلاد فتكثُر الأموال، فيتحدّث خباب بن الأرت رضي الله عنه عما

لاقاه المسلمين الأوائل فيقول:

هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه الله، فعرقنا  حتى نصل إلى الله، فمنا من مضى، لم يأخذ من أجره

(١) **الطبقات الكبرى** لابن سعد ١٢٠ / ٣، طبعة دار صادر، بيروت.

(٢) **أسد الغابة لابن الأثير** ٥ / ١٧٧.

(٣) **رواية البخاري في كتاب المغازي** (باب: من قُتل من المسلمين يوم أحد) رقم ٤٠٨٢، ص ١٠٢٤.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

شيئاً، منهم مصعب بن عمر، قُتل يوم أحد، وترك نمرة، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه، ونجعل على رجليه شيئاً من إدخر^(١).

النعمان بن مقرن رضي الله عنه

وهذا النعمان بن مقرن المزني كان أميراً على جيش المسلمين في فتح (نهاؤند) التي وقعت بين العرب والفرس وتسمى (فتح الفتوح)؛ إذ قضت على طغيان الفرس، ولم تقم لامبراطوريتهم بعدها قائمة. كان عدد الفرس مائة وخمسين ألف مقاتل، أما عدد المسلمين، فكان ثلاثين ألفاً. وقبل أن ينشب القتال سار النعمان في الناس، ووقف على كل راية يذكّرهم ويحرّضهم ويمنّهم الظفر، وقال لهم: إني مكبّر ثلثاً، فإذا كبرت الثالثة، فإني حامل -إن شاء الله- فاحملوا، وإن قُلتُ فالأمير بعدى حذيفة، فإن قُتل فقلان، حتى عد سبعة آخرهم المغيرة. ثم قال: اللهم أعزز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك. وقيل: بل قال: اللهم إني أسألك أن تقرّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام واقبضني شهيداً. فبكى الناس. ورجع إلى موقفه، فكبر ثلثاً والناس سامعون مطیعون مستعدون للقتال، وحمل النعمان والناس معه، وانقضّت رايته انقضاض العقاب، والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشد منها، وما كان يسمع إلا وقع الحديد، وصبر لهم المسلمون صبراً عظيماً، وانهزم الأعاجم ... فلما أقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيداً^(٢).

ويُروى أنّ أحد الجنود جاء (النعمان) وما زال به رمق، فاستحضر ماءً ليغسل به وجه القائد الجريح، ويُسأله (النعمان): من أنت؟ فقال الجندي: معقل بن يسار. وعاد يُسأله: ما فعل الله

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الانصار (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة) رقم ٣٨٩٧، ص ٩٧٩.

(٢) الكامل في التاريخ لأبن الأثير ٤١٦/٢-٤١٧ تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، الطبعة الرابعة ١٤٢٤-٢٠٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

بالناس؟ فقال معقل: فتح الله على المسلمين. وابتسم النعمان مع آخر أنفاسه وآخر كلماته وقال: (الحمد لله كثيراً... اكتبوا بذلك إلى عمر).

أبي بن حمير مع جماعة من الأنصار

وهذا أبي بن حمير وهو صاحب من الأنصار، اشترك في غزوة أحد، ولما أصابت المسلمين تلك الخسارة في هذه الغزوة، علم النبي ﷺ بما عزم عليه المشركون من الإغارة على المدينة، ليستأصلوا المسلمين، فندب النبي من اشترك في غزوة أحد من الصحابة إلى ملاحقة المشركين.

وسمع أبي بن حمير دعوة النبي ﷺ، وكان به سبع جراحات يريد أن يداويها فقال: (سمعاً وطاعة لله ولرسوله، وأخذ سلاحه ولم يعرج على دواء، ولحق برسول الله ﷺ... وخرج من بني سلمة أربعون جريحاً بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحاً، وبخراش بن الصمة عشر جراحات، حتى وافى رسول الله ﷺ، فقال لما رآهم: [اللهم ارحم بني سلمة])^(١).

سعد بن أبي الربيع رضي الله عنه

سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار، قاتل يوم أحد حتى استشهد، وقد وصف زيد بن ثابت آخر لحظات حياته فقال:

(بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع، فقال لي: «إن رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأأتيته وهو بأخر رقم، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمج، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: أخْبِرْهُ كَمْ تَحْدَدَكَ؟ فقل: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له يا رسول الله، أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله، إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين نطرف، وفاضت نفسه من وقته)^(٢).

(١) امتاع الأسماء للمقرizi ١/١٦٧، صصحه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف الترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٢.

(٢) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣/١٠٧.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

أنس بن النضر رضي الله عنه

أنس بن النضر صحابي من الأنصار، وهو عم أنس بن مالك، وقد روى لنا الرواية الآتية فقال: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال يا رسول الله: غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين، ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: [اللهم إني أعذر إليك ما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك ما صنع هؤلاء] - يعني المشركين - ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال يا سعد بن معاذ: الجنة ورب النصر، إني أجده ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببناته. قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشياهه ﴿مَنْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرَى﴾ .

وقد روي أن أنس بن النضر مرّ يوم أحد على جماعة فيهم عمر بن الخطاب فقال: ما يقدركم؟ قالوا: قُتل رسول الله عليه السلام قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتو على ما مات عليه، ثم جالد بسيفه حتى قُتل رضي الله عنه (٢).

عمير بن الحمام الأنباري

قبيل أن ينشب القتال يوم بدر، قال رسول الله عليه السلام لصحابته: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض!». قال: يقول عمير بن الحمام الأنباري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟! قال «نعم» قال: بخ بخ؛ فقال رسول الله «ما يحملك على قولك بخ بخ» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها. فأخرج قرات من قرنه فجعل

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير (باب: قول الله تعالى ﴿مَنْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرَى﴾ رجأ صدقاً ما عاهدوا الله عليه)، رقم ٢٨٠٥، ص ٧٢٨-٧٢٩.

(٢) سيرة ابن هشام مع شرح أبي ذر الخشنبي ٣/١٢٠ بتحقيق: همام عبد الرحيم سعيد و محمد عبد الله أبو صعيديك، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨، مكتبة المنار، الزرقا، الأردن.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل^(١).

عمرو بن الجموح

كان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بين شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا فلما توجه إلى أحد، أراد أن يتوجه معه فقال له بنوه: إنَّ الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد. فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله، إِنَّ بَنِي هَؤُلَاءِ يَمْنَعُونِي أَنْ أُخْرِجَ مَعَكُمْ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَسْتَشْهِدَ فَأَطْأَبُ بِعِرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَمَا أَنْتَ، فَقَدْ وُضِعَ اللَّهُ عَنْكَ الْجَهَادِ، وَقَالَ لِبَنِيهِ، وَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْعُوهُ؛ لَعَلَّ اللَّهَ يُنْهَاكُمْ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةُ؛ فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فُقْتَلَ يَوْمَ أَحْدَ شَهِيدًا^(٢)).

أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله الإراشي الأنفي

ما أكثر الصحابة الذين جاهدوا في الله حق الجهد، وأبدوا من روائع البطولة ما عجز غيرهم عن الإتيان بمثلها، أو الإتيان بقريب منها! ومن هؤلاء صحابي جليل من الأنصار، بايع النبي ﷺ، وأدهش الناس بشجاعته وإقدامه ونجدته وغيره وجهاده في سبيل الله. إنه أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله الإراشي، كان اسمه قبل أن يسلم عبد العزي، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن عدو الأوثان، وقد شهد بدرًا والشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق سنة اثنتي عشرة للهجرة. قال ابن سعد في طرقاته:

الآن يوْمَ الْيَمَامَةِ، وَاصْطَفَ النَّاسُ لِلقتالِ، كَانَ أَوَّلُ مَنْ هَرَجَ أَبُو عَقِيلَ الْأَنْفِي، رَاهِي السَّهْمِ، فَوَقَعَ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ وَفَوَادِهِ فِي غَيْرِ مَقْتَلٍ؛ فَأَخْرَجَ السَّهْمَ، وَوَهَنَ لَهُ شَقَّهُ الْأَيْسَرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وَجَرَ

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة (باب: ثبوت الجنة للشهيد) رقم ١٩٠١، صحيح مسلم ١٥١٠ / ٣ - ١٥١١.

(٢) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٢٠٨-٢٠٩ / ٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٣٩٩-١٩٧٩، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

إلى الرحيل. فلما حمى القتال، وانهزم المسلمون، وجذروا رحالتهم، وأبو عقيل واهن من جرحه، سمع عن بن عدي يصريح بالأنصار: الله أنت والكرة على عدوكم، قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه؛ فقلت: ما تريده يا أبا عقيل، ما فيك قتال؟ قال: قد نوه المنادي باسمي، قال ابن عمر: فقلت إنها يقول يا للأنصار لا يعني الجرحى، قال أبو عقيل: أنا رجل من الأنصار وأنا أجيئه ولو حبواً. قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل، وأخذ السيف بيده اليمنى مجرداً ثم جعل ينادي: يا للأنصار كرامة كيوم حنين، فاجتمعوا رحمة الله جميعاً... قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجرورة من المنكب فوقيع على الأرض، وبه من الجراحات أربعة عشر جرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل وُقتل عدو الله مسلمة.

قال ابن عمر: فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت: يا أبا عقيل! قال: ليك - بلسان ملتاث - : ملن الدبرة؟ قلت: أبشر - ورفعت صوتي - قد قُتل عدو الله! فرفع اصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات يرحمه الله. قال ابن عمر: فأخبرت عمر، بعد أن قدمت، خبره كله. فقال: رحمة الله، ما زال يسعى للشهادة ويطلبها، وإن كان - ما علمت - من خيار أصحاب نبينا^(١).

خبيب بن عدي

هو خبيب بن عدي الأنصاري شهد غزوة بدر، وأسر في حادثة الرجيع وباعوه إلى بني الحارث بن عامر، وكان خبيب قد قُتل والله يوم (بدر)، فلبت عندهم أسريراً، فلما أجمعوا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحث بها فأعادته، فسأله طفل صغير لها وهي غافلة عنه حتى أتاها، فوجده قد أجلسه على فخده والموسى بيده، ففزعـت فزعة عرفها خبيب فقال: أخشيـنـ أنـ أـ قـتـلـ؟ـ ماـ كـنـتـ لـأـ فـعـلـ ذـلـكـ،ـ قـالـتـ:ـ وـالـلـهـ مـاـ رـأـيـتـ أـسـرـيرـاـ قـطـ خـيـراـ مـنـ خـبـيـبـ،ـ وـالـلـهـ لـقـدـ وـجـدـهـ يـوـمـ يـأـكـلـ

(١) الطبقات الكبير لابن سعد سعد ٤٣٩ / ٣ - ٤٤٠، طبعة الخانجي، وصفة الصفوة لابن الجوزي ١ / ٤٦٦ - ٤٦٧

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

قططاً من عتب في يده، وإنه لموثق بالحديد وما بمكانة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً، فلما رجعوا به من الحرم ليقتلوا في الحال، قال لهم خبيب: دعوني أصل ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله، لو لا أن تحسبوا أن ما بي جزءٌ لزدت ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، وأقتلهم بددأً، ولا تبقٌ منهم أحداً، ثم أنشأ يقول:

على أي جنب كان في الله مصرعي
فلست أبيالي حين أقتل مسلماً
وذلك في ذات الإله وإن يشا
يبارك على أوصال شليٍ ممزعَ
ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو سنّ لكل مسلم قتل صبراً
الصلاحة، رضي الله عنك يا خبيب^(١).
أم عمارة^(٢).

لم يكن الرجال وحدهم هم الذين جاهدوا مع النبي ﷺ حق الجهاد، فقد كان من النساء من
جاهدت أكثر من جهاد قسم من الرجال، ومن هؤلاء أم عمارة نسيبة بنت كعب: فقد أبلت بلاءً
حسناً في غزوة أحد، ودافعت عن النبي ﷺ وقاتلت دونه مع زوجها غزية بن عمرو وابنيها: عبد
الله وحبيب، وجرحت اثنى عشر جرحاً بين طعنـة بـرمح، أو ضربـة بـسيـف وقد قالت : لما أنهزم
المسلمون في غزوة أحد انحرـت إلى رسول الله ﷺ، فجعلـت أباشرـ القـتـالـ، وأذـبـ عن رسول الله ﷺ
بالـسيـفـ، وأرمـيـ بالـقوـسـ حتـىـ خـلـصـتـ إـلـيـ الـجـراـحـ. وأـقـبـلـ ابنـ قـميـةـ، وـقـدـ ولـىـ النـاسـ عنـ رسولـ
الـلهـ^{عليـهـ دـرـعـاـلـ} وهو يـصـيـحـ: دـلـوـنـيـ عـلـىـ مـحـمـدـ، فـلـاـ نـجـوتـ لـهـ نـجـاـتـ^{لـهـ مـصـعـبـ} لـهـ مـصـعـبـ بـنـ عـمـيرـ وـنـاسـ مـعـهـ
^{لـكـتـ كـبـيـمـ، فـقـصـرـتـ لـهـ الـطـرـيـقـ عـلـىـ عـاتـقـيـ، وـقـدـ ضـرـبـتـ عـلـىـ ذـلـكـ ضـرـبـاتـ، وـلـكـنـ عـدـوـ اللهـ كـانـ}
^{عـلـيـهـ دـرـعـاـلـ.}

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: ١٠) باختصار وتصريف قليل، رقم ٣٩٨٩، صحيح البخاري ص ٦٧٣ - ٦٧٤.

(٢) اسمها نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية الخزرجية النجارية المازنية. شهدت ليلة العقبة واشتربت في غزوات أحد والحدبية وحنين، وشهدت يوم اليهادة، وقطعـتـ يـدـهاـ فيـ الجـهـادـ.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

ولقد رأيتني وأنكشف الناس عن رسول الله ﷺ، فما بقي النبي إلا في نغير ما يتمنون عشرة، وأنا وابنائي وزوجي بين يديه نذب عنه، والناس يمرون منهزمين، ورأني لا ترس معي، فرأى رجلاً مولياً معه ترس، فقال: يا صاحب الترس، ألقِ ترسك إلى من يقاتل! فألقى ترسه فأخذته، فجعلت أترس به عن رسول الله ﷺ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل؛ ولو كانوا رجالاً مثلنا أصحابهم إن شاء الله!. فأقبل رجل على فرس فضربني، وتترست له؛ فلم يصنع سيفه شيئاً وولى؛ فضربت عرقوب فرسه؛ فوقع على ظهره؛ فجعل النبي ﷺ يصبح يا ابن أم عمارة، أملك أمك! فعاونني عليه حتى قتلتة.

وقد جرح ولدها في هذه الغزوة، وصار الدم لا ينقطع من جرحه، فطلب النبي ﷺ منه أن يعصّب جرحه، فأقبلت أمه ومعها عصائب قد أعدتها للجرح، فربطت جرحه، ثم قالت: إنهضبني فضارب القوم! فجعل النبي ﷺ يقول: ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة! وأقبل الرجل الذي ضرب ابنتها، فقال رسول الله: هذا ضارب ابنك؛ فأقبلت إليه وضربت ساقه فبرك، وظللت تضرره حتى مات.

ونظر النبي ﷺ إلى جرح أم عمارة على عاتقها؛ فأمر ابنتها أن يعصّب جرح أمّه. وظللت أم عمارة تدافع عن النبي، وقد قال ﷺ: ما التفت يميناً ولا شمائلاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني. وقد طلبت من النبي مرافقته في الجنة فقالت: ادع الله أن نراففك في الجنة فقال: اللهم أجعلهم رفقاء في الجنة؛ **فقالت: ما أبالي ما أصحابي من الدنيا،**

ولما انتهت المعركة، ونادى منادي رسول الله ﷺ إلى السير إلى (حراء الأسد)، شدّت عليها ثيابها، لكنها لم تستطع السير من نزف دم الجراح، وظللت جدة ضمرة بن سعيد المازني - وكانت معها - تضمد جراحاتها حتى الصباح. فلما رجع النبي ﷺ من حراء الأسد إلى بيته، أرسل عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها؛ فرجع إليها يخبره بسلامتها؛ فسر بذلك النبي ﷺ.

ولما انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى، وظهر أمر مسيلمة الكذاب، صارت تقاتله مع الجيش الذي

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

أرسله أبو بكر لقتال المرتدين. وهناك في اليمامة وهي تقاتل جيش مسيلة قطعت يدها، وجرحت سوي يدها أحد عشر جرحاً، وقد قام مسيلة بقتل ابنها حبيب وتقطيعه.

رضي الله عنك يا أم عماره! وجعلنا الله بك وبصحبة النبي ﷺ في جنات الخلود..!



إنفاق الصحابة المال في سبيل الله

كان الصحابة الكرام يجلسون مع النبي ﷺ، ويسمعون الآيات التي ينزلها الله ﷺ عليهم، ومنها الآيات التي تدعوا إلى إنفاق المال في سبيل الله، فيقدم على الإنفاق من كان ذا مال، ويتمنى المعسر أن لو كان عنده شيء لأنفقه في سبيل الله، وينظر الصحابة إلى رسول الله ﷺ وهو قد وظف في سماحته وسخائه وإنفاقه المال في سبيل الله، فيسارعون إلى البذل والعطاء، وهذه أمثلة قليلة من سخاء الصحابة.

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (١)

كان طلحه بن عبيد الله قد تزوج امرأة تدعى (سعدى بنت عوف المرية). (دخلت على طلحه ذات يوم فقالت [تحاطب زوجها طلحه]: ما لي أراك حزيناً أرابك من أهلك فنعتب؟ [أي نترضاك]؟ قال: نعم، حلية المرء أنت، ولكن عندي مال قد أهمني أو غمني. قالت: اقسمه؛ فدعا جاريته فقال: ادخلني على قومي؛ فأخذ يقسمه، فسألها [راوي الحديث]: كم كان المال؟ فقالت: أربعين ألف) (٢).

وعن الحسن البصري: (أن طلحه بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بن عفان بسبعين ألف فحملها إليه. فلما جاء بها قال: إن رجلاً تبیت هذه عنده في بيته لا يدری ما يطرقه من أمر الله لغیر بالله؛ فأرسل رسلاً في سکك المدينة يوزعها حتى أسرح وما عنده منها درهم) (٣).

(١) هو طلحه بن عبيد الله، صحابي جليل، واحد من العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين الأولين في الدخول إلى الإسلام، وكان كريماً من أفضل الكرماء، ولكرمه جوده وكرامته وعطائه وبذله، سماه النبي ﷺ: (طلحة الفياض) و (طلحة الجود) و (طلحة الخير)، وكل اسم من هذه الأسماء قصة تدل على بذله وسخائه.

(٢) الطبقات الكبير لابن سعد ٢٠١ / ٣، طبعة الخانجي.

(٣) الطبقات الكبير ٢٠٢ - ٢٠١ / ٣.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

وقال الحافظ الذهبي:

(أتى طلحة مال من حضرموت سبع مائة ألف، فبات ليلته يتململ فقالت له زوجته: مالك؟ قال: تفكرت منذ الليلة فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين انت عن بعض أخلاقائك، فإذا أصبحت فادع بجفان وقصاص فقسمه، فقال لها: رحمك الله إنك موافقة بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح دعا بجفان فقسمها بين المهاجرين والأنصار فبعث إلى علي منها بجفنة فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي. قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم)^(١).

ويشهد قبيصة بن جابر بكثرة جود طلحة، وبأنه كان يعطي من غير مسألة فيقول:
(ما رأيت أحداً أعطى لجزيل مال من غير مسألة من طلحة بن عبيد الله)^(٢).

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه^(٣)

عن الزهرى: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله، ثم تصدق بعد بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسين فرس في سبيل الله، وخمسين راحلة، وكان أكثر ماله من التجارة^(٤).

وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال:

(باع عبد الرحمن بن عوف أرضاً له من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك المال في شحون زهرة، وفقراء المسلمين، وأمهات المؤمنين، ورمضان إلى عائشة معى بهال من ذلك المال؛ فقالت: عائشة أما

(١) سير الأعلام النبوية / ١ / ٣٠ - ٣١

(٢) الطبقات الكبير / ٣ / ٣٠٢

(٣) عبد الرحمن بن عوف واحد من العشرة المبشرين بالجنة وكان واحداً من الستة الذين انتخبهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليختاروا الخليفة من بعده لما طعنه المجوسي أبو لؤلؤة فiroz، أسلم قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرق، فهو أحد الخمسة السابقين إلى الانضواء تحت لواء الإسلام، وكان له مال كثير، ومع ذلك كان زاهداً في الدنيا.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة / ٤ / ٣٤٧، والخلية لأبي نعيم ٩٩ / ١

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يحنو عليكم بعدي إلا الصالحون» سقا الله ابن عوف من سلسلة الجنـة^(١).

وأوصى رضوانه^(٢) لكل من شهد بدرًا بأربعين دينار [أي من الذهب]، فكأنوا مائة رجل.

أبو الدحداح الأنصاري^(٣)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ فَرَضًّا حَسَنًا فَيُضَعِّفَهُ اللَّهُ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، وإن الله ليزيد منا القرض؟ قال: «نعم، يا أبو الدحداح». قال أرفني يدك يا رسول الله قال: فناوله يده قال: فإني قد أقرضت ربِّي حائطي -وله حائط فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها- قال: فجاء أبو الدحداح فناداه: يا أم الدحداح: قالت: ليبيك. فقال: اخرجني، فقد أقرضته ربِّي^(٤).

. ٩٩-٩٨ / ١ (١) حلية الأولياء

(٢) *التاريخ الكبير للإمام البخاري* / ١٦٩٩ / ١٩٧، تحقيق: السيد هاشم الندوـي، دار الفكر، بيـروـت.

(٣) ذكر ابن الجوزي أنَّ اسم أبي الدحداح ثابت بن الدحداح، وهو رجل من الأنصار، وقد شهد غزوة أحد، ورأى هزيمة المسلمين في الجولة الثانية، وقد كانوا يقاتلون متفرقين، فدعى أبو الدحداح الأنصار فقال: إلَيْ إلَيْ؛ إنَّ كَانَ مُحَمَّدًا قُدُّمُتُ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ؛ فقاتلوا عن دينكم؛ فنهض إلى نهر من الأنصار، فجعل يحمل بمن معه حتى قُتُلَ وُقُتُلَ من كان معه.

ينظر: صفة الصفة لابن الجوزي / ٣١٣، ضبطها وكتب هوامشها: إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، الطبعة الرابعة ١٤٢٧-٢٠٠٦، دار الكتب العلمية، بيـروـت.

(٤) *تفسير ابن كثير* / ٢ / ٢٣٠

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها^(١)

عن عروة بن الزبير قال: (لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفاً وإنها لترقى جيب درعها) ^(٢).

وعن هشام بن عروة عن أبيه: (أن معاوية بعث إلى عائشة رضي الله عنها بمائة ألف، فوالله ما غابت الشمس عن ذلك اليوم حتى فرقتها) ^(٣).

عن أم ذرّة - وكانت تغشى عائشة - قالت:

(بعث إليها ابن الزبير بهال في غرارتين، قالت: أراه ثانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم. فلما أمست قالت: يا جارية، هلمي فطري، فجاءتها بخبز وزيت؛ فقالت لها أم ذرّة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن

تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ فقالت: لا تعنيني؛ لو كنت ذكرتني لفعلت) ^(٤).

وبلغ الإمام مالكاً عن عائشة زوج النبي ﷺ (أن مسكييناً سألاها وهى صائمٌ، وليس في بيته إلا رَغيفٌ؛ فقالت لِوَلَاهَا: أُعْطِيهِ إِيَاهُ. فقالت: ليس لك ما تُفطرين عليه. فقالت: أُعْطِيهِ إِيَاهُ. قالت: فَقَعَلْتُ. قالت: فلما أَمْسَيْنَا أَهْدَى لنا أَهْلُ بَيْتٍ أو إِنْسَانٍ ما كان يهدى لنا شاةٌ وَكَفَنَهَا، فَدَعَتْنِي فَقَعَلْتُ). ^(٥)

عائشة قالت: كُلِي من هذا، هذا خَيْرٌ من فُرْصِيكِ ^(٦).
وقال ابن الزبير: (ما رأيت امرأة قط أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف، أما عائشة، فكانت تجمع الشيء إلى الشيء، حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه، وأما أسماء فكانت لا

(١) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي ﷺ، وكانت أحب نسائه إليه، عُرفت بعلمها الواسع، وروياتها للأحاديث النبي ﷺ، فقد روى عنه ٢٢١٠ من الأحاديث، وكانت لها معرفة بعمل الأحكام، وهي من أكثر العلماء في الفتوح، كما عُرفت بزهدها، وإنفاقها المال في سبيل الله.

(٢) صفة الصفة ٢/٢.

(٣) حلية الأولياء ٢/٥٨، رقم ١٤٧٣، الطبعة الثالثة ١٤٢٧-٢٠٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) صفة الصفة لأبن الجوزي ٢/٢٢-٢١.

(٥) الموطأ للإمام مالك - رواية يحيى بن يحيى اللثبي - ٥٩٦/٢.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

تدخر شيئاً لغدٍ^(١).

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما^(٢)

كان لابن عمر غلام اسمه نافع، وقد صار -فيما بعد- من أئمة التابعين، وقد أراد ابن جعفر أن يشتري منه نافعاً بعشرة الآف درهم أو بآلف دينار ذهباً، فدخل عبد الله على زوجته صفية بنت عبيد وقال لها: أعطاني ابن جعفر بنافع عشرة آلاف درهم أو ألف دينار؛ فقالت: يا أبا عبد الرحمن، فإذا تنتظر أن تبيع؟! قال: فهلا ما هو خير من ذلك؟ هو لوجه الله تعالى^(٣).

وقال نافع: (إن كان ابن عمر ليقسم في المجلس الواحد ثلاثين ألفاً، ثم يأتي عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم)^(٤).

وقال نافع: (ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد)^(٥).

وقال نافع: (مرض ابن عمر فاشتهر عنباً أول ما جاء، فأرسلت امرأته بدرهم فاشترت به عنقوداً، فاتبع الرسول سائل، فلما دخل قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. ثم بعثت بدرهم آخر، قال فاتبعه السائل. فلما دخل قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه، وأرسلت صفية (زوجة ابن عمر) إلى السائل تقول: والله لئن عدت لا تصيب مني خيراً، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به)^(٦).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٩٢ / ٢

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب صحابي جليل، قال فيه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (ما مات أحد أدرك الدنيا إلا وقد مال بها أو مالت به إلا عبد الله بن عمر)، ووصفه سعيد بن المسيب فقال: (لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر).

(٣) كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص ١٧٥ - ١٧٦ وسير أعلام النبلاء ٣ / ٢١٧

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ١ / ٢٩٦

(٥) سير أعلام النبلاء ٣ / ٢١٨

(٦) سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٢٠

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

قال ميمون بن مهران: أتت ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس، فلم يقم حتى فرقها^(١). وكان عبد الله بن عمر غلام (رقيق) فكاتبته ابن عمر، -أي تعهد له بعتقه من الرق- إذا دفع إليه أربعين ألف درهم. فخرج إلى الكوفة فكان يعمل على حُمُوله، حتى جمع من عمله خمسة عشر ألفاً، فجاءه إنسان فقال: أبْحِنْنُوكَ أنتَ؟ أنتَ هَا هَنَا تَعْذِبُ نَفْسَكَ، وابن عمر يشتري الرقيق يميناً وشمالاً ثم يعتقهم، ارجع إليه فقل: عجزت. فجاء الغلام بصحيفته التي تعاقد فيها إلى ابن عمر وقال له: يا أبا عبد الرحمن، قد عجزت، وهذه صحيفتي فاحمها. فقال: لا، امحها أنت إن شئت، فمحاها، ففاضت عينا عبد الله وقال: اذهب فأنت حر. قال أصلحك الله، أحسن إلى ابني. قال: هما حران. قال: أصلحك الله، أحسن إلى أمي ولدي. قال: هما حرتان^(٢).
قال: أصلحك الله، أحسن إلى الله عنهم^(٣).

(١) الأصيل، حلب، سوريا.
 (٢) سير أعلام النبلاء / ٣٢١٧ .

(٣) أبو عبد الله عاصم بن حبيب روى حديث من العشرة المبشرين بالجنة، ساده النبي ﷺ وأمين الأمة، عُرف بشجاعته وهي صخورات النبي ﷺ وسراباه، كما عُرف بقيادته في فتح بلاد الشام، وإنفاقه المال في سبيل الله.

أما معاذ بن جبل، فهو صحابي جليل عُرف بعلو همة وبعد نظره، وقد بايع النبي ﷺ بيعة العقبة ووفي بيته، وبعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة صاحبه معاذ، وحظي بمحبة النبي ﷺ له، وُعرف بعلمه وجهاده وعيادته وكرمه وإنفاقه المال في سبيل الله.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

في بعض حاجتك. فقال: رحمة الله ووصله! تعالى يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، واذهبني إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن -والله- مساكين فأعطنا -ولم يبق في الخرقة إلا ديناران- فدحا بها إلينا، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره؛ فسرّ بذلك وقال: إنهم أخوة بعضهم من بعض^(٤).

أم المؤمنين زينب بنت جحش^(٥)

عن برزة بنت رافع رضي الله عنها قالت:

(لما خرج العطاء [أي الذي كان يعطيه عمر بن الخطاب] أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذى لها. فلما أدخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني. قالوا: هذا كله لكِ قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب وقالت: صبوه واطروا عليه ثوباً. ثم قالت لي: أدخلني يدك فاقبضي منه قبضة فأذهبني بها إلىبني فلان وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها، حتى بقيت بقية تحت الثوب؛ فقالت لها برزة بنت رافع: غفر الله لك يا أم المؤمنين! والله لقد كان لنا في هذا حق. فقالت: فلكم ما تحت الثوب. فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهماً. ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا؛ فماتت فكانت أول أزواج النبي ﷺ لحوأً به)^(٦).



(٤) حلية الأولياء ٢٣٧ / ١.

(٥) هي أم المؤمنين زينب بنت جحش. أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتزوجها زيد بن حارثة، فلما طلاقها تزوجها النبي ﷺ بعد أن تهت عذرها، وقد عرفت بعبادتها وورعها وحرصها على اتباع السنة، وحبها الصدقة والإنفاق في سبيل الله. توفيت سنة ٢٠ من المجرة.

(٦) طبقات ابن سعد ١٠٦ / ١٠٦.

أهل الصفة ضيوف الإسلام

مقدمة

هناك كثير من المسلمين اليوم لا يعرفون عن أهل الصفة شيئاً، ومن كان منهم قد سمع بهم فلا يعلم أكثر من أئمّهم كانوا من فقراء المهاجرين يعيشون في مسجد النبي ﷺ، قد فرّغوا أنفسهم لعبادة الله تعالى ليس إلا! وإذا كانت السيرة النبوية قد أبدع فيها كثير من كتابها قدّيماً وحديثاً، فكتبوا فيها الكتب الواسعة، مفصّلين كثيراً من دقائقها، ومحليين وقائعاً، ومستخرجين فقه أحداثها، فإنّ جانب أهل الصفة لم يحظ في كتاباتهم إلا بذكر النذر القليل من أخبارهم المتداولة في بطون الكتب هنا وهناك، ولعلّ كاتباً من المختصين بالسيرة النبوية يوفّقه الله فيجمع ما تناثر من أخبارهم مع نقد الروايات نقداً علمياً، وتخرّيج الأحاديث فيها.

لقد كتب عدد من كتاب السير أبحاثاً مفيدة عن أهل الصفة، وخير بحث اطلعنا عليه إلى الآن في شأنهم هو بحث أخي الفاضل الأستاذ الغيور الدكتور أكرم ضياء العمري -وفقه الله- في كتابه القيم الماتع (السنة النبوية الصحيحة)، وقد أفادت في هذا المقال من كتابه هذا.

ونحن حين نتحدث عن هذه الصفة من أهل الصفة لا نبغي التسلية وقضاء الوقت، بل نريد أن نكشف عن جانب من جوانب السيرة النبوية التي تنصّ على ما لاقاه صحابة النبي ﷺ، لتكون زاداً للدعاة إلى الله كلما كلّت العزائم وضعفت الهمم، ولتكون **أفيضاً - قلادة وأسورة** للMuslimين عند اشتداد الأزمات وشقاق الكروب.

في الطريق إلى المدينة

لما انسدلت الطرق بوجه دعوة الإسلام في مكة، وكاد الأمل يُفقد في إيان أهلها، ووجد النبي ﷺ من يقف معه **من أهل المدينة المنورة!** ليبلغ رسالة الله إلى الناس، دعا النبي صلوات الله وسلامه عليه صحابته إلى الهجرة إليها، فسارع من استطاع الهجرة إليها زرافات ووحدانا، تاركين وطنهم

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

وأموالهم وبيوتهم وما كان عندهم من متع، وما ان بدأت طلائع المهاجرين تصل إلى المدينة حتى تلقاهم الأنصار وأنزلوهم في بيوتهم، وقد أحبّ الأنصار المهاجرين حتى صاروا يتسابقون في ايوائهم فيقترون على من يقبل إليهم من المهاجرين. ولقد أُعجب المهاجرون كل الإعجاب بما بذلوه من مواساة حتى قالوا للنبي ﷺ: (يا رسول الله، ما رأينا مثل قومٍ قدمنا عليهم أحسن مواساةً في قليل، ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كفونا المؤنة، وأشارونا في المَهْنَاء، حتى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: «لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم»^(١)).

ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى كثر المهاجرون في المدينة، وقد كانت بيوت الأنصار قد امتلأت بمن وصلها من المهاجرين، فلم يكن للبقية الباقية مسكن يأوون إليه. لقد فرّ هؤلاء بدينهם ليتحققوا بإخوانهم استجابة لرسول الله ﷺ. وإذا علمنا أنّ هؤلاء المهاجرين لم تكن لهم أموال فقد تركوها في مكة فراراً بدينهما، ولم تكن لهم خبرة بالزراعة التي عُرفت بها المدينة، فقد كان أكثر أهلها من المزارعين، على العكس من مكة التي عُرفت بالتجارة، وكانت أعداد من أفراد القبائل العربية تفد إلى المدينة المنورة من هنا وهناك: منهم من يريد إشهار إسلامه بين يدي النبي ﷺ، ومنهم من يريد التعرّف على هذا الدين الجديد، وهنا برزت مشكلة تحتاج إلى حل.

بناء دار لأهل الصفة

في هذه الأحوال أنزل الله تعالى آية تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة في مكة فقال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقْلِبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَنَوَّلْتَنَا قِبْلَةً تَرْضَهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ رَجَسْتَنَا كُشْفَ قَوْلَهُ وَجُوهَكَ شَطَرَهُ﴾ سورة البقرة/١٤٤. فصار الاتجاه في الصلاة في المدينة إلى الجنوب - أي إلى الكعبة المشرفة - بعد أن كانت إلى بيت المقدس في الشمال، فأخذ النبي ﷺ شعالي المسجد من مؤخرته داراً لأهل الصفة، من فقراء المهاجرين من يسي له مهد.

(١) مسند الإمام أحمد، رقم ٣٦١، ٢٠، ١٣٧٥ بتحقيق: شعب الأربعين وعادل مرشد، الطبعة الثانية ١٤٢٩-٢٠٠٨، مؤسسة الرسالة، بيروت.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

ولَا مالَ لِمَنْ يَأْوِي إِلَيْهِ، فَسُقْفٌ أَوْ ظُلْلٌ وَيُنِي لَهُ جَدَارٌ وَسَكَنَهُ فَقَرَاءُ الْمَاهِجِرِينَ. وَكَانَ عَرِيفًا
الصَّفَةُ أَبُو هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهُوَ حَلْقَةُ الْوَصْلِ بَيْنَ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَهْلِ الصَّفَةِ يَبْلُغُهُمْ مَا يَرِيدُ النَّبِيُّ تَبْلِيهُ
لَهُمْ، وَظَلَّ أَبُو هَرِيرَةَ مُسْتَوْطِنًا الصَّفَةَ طَوْلَ عُمُرِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ الْمَاهِجِرُونَ -وَحْدَهُمْ- مِنْ
سَكَنِ الصَّفَةِ، فَهُنَّاكَ مِنَ الْأَنْصَارِ مَنْ سَكَنَهَا مِنْ رَغْبَةِ الْزَّهْدِ، وَلَوْ كَانُوا مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَكَأْنُوهُمْ
أَرَادُوا مُشَارِكةَ الْمَاهِجِرِينَ فِي شَطْفِ الْعِيشِ وَمُوَاسَاتِهِمْ.

أبو نعيم يصف أهل الصفة

وقد تحدث أبو نعيم الأصفهاني في وصف أهل الصفة فقال:

(هُمْ قَوْمٌ أَخْلَاهُمُ الْحَقُّ مِنَ الرُّكُونِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْعَرَوْضِ، وَعَصَمُوهُمْ مِنَ الْإِفْتَنَانِ بِهَا عَنِ
الْفَرَوْضِ. وَجَعَلُوهُمْ قَدوَّةً لِلْمُتَجَرِّدِينَ مِنَ الْفَقَرَاءِ، كَمَا جَعَلَ مِنْ تَقْدِيمِ ذَكْرِهِمْ أُسْوَةً لِلْعَارِفِينَ مِنَ
الْحَكَمَاءِ. لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلِ مَالٍ وَلَا مَالٍ، وَلَا يَلْهِيَهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَجَارَةً وَلَا حَالَ...).^(١)

عدد أهل الصفة

وأما عددهم، فكان مجموع من دخلها وخرج منها أو لم يخرج ما بين الستمائة إلى السبعمائة كما
يقول أبو عبد الرحمن السلمي^(٢)، لكن المقيمين بها بصورة عامة كانوا ما بين الأربعين إلى السبعين
رجالًا، بحسب من يسافر منهم أو يتزوج أو يموت. قال ابن تيمية رحمه الله:
(وَأَمَّا جَمْلَةُ مَنْ أَوَى إِلَى الصَّفَةِ مَعَ تَفْرِقَتِهِمْ فَقَدْ قِيلَ: كَانُوا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِمَائَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَقَدْ
قِيلَ: كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ).^(٣)

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ١/٤١٤ بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة ١٤٢٧-٢٠٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٦٦ بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية ١٤٣٩-٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/٢١

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

وقال في موضع آخر:

(وأما عددهم فقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي تاريخهم: وهم نحو من ستة أو سبعة أو نحو ذلك).^(١)

العرنيون نزلوا الصفة ثم ارتدوا

ولا يظنن أحد أن كل من سكن الصفة مدة من الزمن كان من المؤمنين الصادقين، فقد نزلها ناس آمنوا بالله ثم ارتدوا عن الإسلام كالعرنيين الذين وفدو على النبي ﷺ ونزلوا في الصفة، وفي طريق عودتهم إلى موطنهم رأوا راعي النبي ﷺ ومعه أنعام، فقتلوه واستاقوا النعم، فعلم النبي بذلك فأرسل في طلبهم، فلما جيء بهم عاقبهم بما يستحقون^(٢).

عملهم

إن هؤلاء الذين سكنوا الصفة من المؤمنين الصادقين لم يكونوا متباطلين متواكلين، ينتظرون من يتصدق عليهم من هنا وهناك، بل كانوا يعملون ما يستطيعون عمله في الصفة وفي غيرها، فإذا عادوا إلى الصفة يقومون بتلاوة القرآن، والصلوة في الليل، والدعاء والذكر وغير ذلك من العبادات؛ فزاددوا بهذا إيماناً على إيمانهم. ولم يكتفوا بهذا النوع من أنواع الطاعة والعبادة؛ فاتجهوا إلى طاعة أخرى، فكانوا يتدارسون العلم فيما بينهم، ويعلم بعضهم بعضاً القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ومن أهل الصفة من كان له أثره الكبير في حفظ أحاديث النبي ﷺ: كأبي هريرة رضي الله عنه الذي صار -فيما بعد- راوية الإسلام، ومنهم من حفظ أحاديث النبي ﷺ في الفتنة كحديفة بن اليمان رضي الله عنه فقد نزلها مدة من الزمن، وقد نزلها سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة، ثم انتقل عنها.

((جموع الفتاوى))

((٢) ينظر نص الحديث في صحيح البخاري كتاب الوصيّة (باب: أبواب الأبواب والأبواب والغنم) ومراقبتها) رقم ٢٣٣، ص ٤٣ وغير ذلك من الكتب والأبواب، كما رواه مسلم وأبي داود والترمذاني والنسائي وغيرهم.

جهادهم في سبيل الله

ولا يظنن أحد أنّ أهل الصفة كانوا منقطعين عن الدنيا ومشكلاً لها، بل كانوا يساهمون في كثير من مجالات الحياة، وكذلك في الجهاد في سبيل الله، فكان النبي ﷺ يبعثهم في مهام استطلاعية وسرايا وغيرها، وقد يعجب كثير من الناس إذا علموا أنّ أهل الصفة كانوا من أكثر الناس قتالاً واستبسالاً وجهاداً في سبيل الله، وقد وصفهم الله تعالى في قرآن المجيد فقال:

لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَعَزَّزُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرَضُوا نَّارًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأَصْدِيقُونَ ﴿٨﴾ سورة الحشر. ويكتفي أن نعلم أنّ سبعين من أهل الصفة سقطوا شهداء في يوم واحد في حادثة بئر معونة^(١)، حتى صار النبي ﷺ يقتن شهراً يدعوه على هؤلاء الغاردين الذين قتلوا حفاظ القرآن. وليس هؤلاء وحدهم الذين سقطوا شهداء من أهل الصفة، فقد وقع منهم شهداء أيضاً في غزوة بدر ومنهم: (صفوان بن بيضاء، وخريم بن فاتك الأسدية، وخبيب بن يساف، وسالم بن عمير، وحارثة بن النعمان الأننصاري، ومنهم من استشهد بأحد مثل حنظلة الغسيل، ومنهم من شهد الحديبية مثل جرهد بن خويلد وأبو سريحة الغفاري ومنهم من استشهد بخبير مثل ثقف بن عمرو ومنهم من استشهد بتبوك مثل عبد الله ذي البجادين، ومنهم

(١) بئر معونة: موضع بين مكة وعسفان يبعد ١٦٠ كم عن المدينة. وقصة أصحاب بئر معونة أو سرية القراء: أن أبي براء عامر بن مالك وفد على النبي ﷺ، فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام فلما أسلم قال: أنا على النبي أن يرسل رجالاً إلى أهل معونة ليقتلوا في سبيله فيكونوا في سبيله رجالاً من خيار المسلمين، فلما جاءه النبي ﷺ قال له: ألم يرسل لك يا عاصي قاتل؟ فأرسلوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر حرام: [لقيت ورب الكعبة]، ثم استصرخبني عامر على المسلمين فأبوا وقالوا: لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم جواراً، فاستصرخ عليهم [رعاً وذكوان]، فأجابوه وكانت كثرة كاثر، فلقاتلواهم حتى قتل المسلمون عن آخرهم إلا كعب بن زيد فلما تم تركوه وبه رمق.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

من استشهد باليمامة مثل سالم مولى أبي حذيفة وزيد بن الخطاب^(١).

ولقد نال أهل الصفة مدح النبي ﷺ لهم فقال:

«أول الناس وروداً عليه [أي على الحوض] فقراء المهاجرين الشعث رؤوساً الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم السدد»^(٢).

طعامهم

نظر إلى طعام أهل الصفة فنجد أكثره التمر: فقد جعل النبي ﷺ لكل رجلين من أهل الصفة مدّاً واحداً في كل يوم [أي ما يقرب من ٦٧٥ غراماً]، وأصحابهم من الضرر والأذى ما أصحابهم من أكلهم التمر وحده مدة من الزمن ليست بالقصيرة. ولما شَكُوا إلى النبي ﷺ ما يلاقون من أكل التمر وحده، اعتذر إليهم وواساهم وصبرهم. ولندع فضالة بن عبيد رضي الله عنه يروي هذه الرواية فيقول: (كان رسول الله ﷺ إذا صلى بالناس، خرّ رجالٌ من قامتهم في الصلاة لما بهم من الخاصة [أي: الجوع والفقر] وهم من أصحاب الصفة، حتى يقول الأعراب: إن هؤلاء مجاني، فإذا قضى رسول الله ﷺ الصلاة انصرف إليهم فقال لهم: «لو تعلمون مالكم عند الله، لأحببتم لو أنكم تزدادون حاجة وفاقة»^(٣)، وذلك من باب التسلية والتصرير لهم.

وعن طلحة بن عمرو قال: كان الرجل إذا قدم على النبي ﷺ: إن كان له عريف بالمدينة [أي من يعرفه] نزل عليه، فإذا لم يكن له عريف نزل مع أصحاب الصفة، قال: فكنت فيما نزل الصفة، فرافقت رجالاً، فكان يُخْرِجُ علينا من رسول الله ﷺ كل يوم مدّ من تمر بين رجلين؛ فسلم ذات

الليلة على ذلك

العنوان: الأدب العربي الحديث للدكتور أكرم ضياء العميري / ٢٠٢٢، الطبعة الخامسة - ٢٠٢٢
العنوان: الأدب العربي الحديث للدكتور أكرم ضياء العميري / ٢٠٢٢، الطبعة الخامسة - ٢٠٢٢
العنوان: الأدب العربي الحديث للدكتور أكرم ضياء العميري / ٢٠٢٢، الطبعة الخامسة - ٢٠٢٢
العنوان: الأدب العربي الحديث للدكتور أكرم ضياء العميري / ٢٠٢٢، الطبعة الخامسة - ٢٠٢٢

(١) رواه الترمذى في كتاب صفة القيامة (باب: ما جاء في صفة أولئك الحوض) رقم ٤٤٤، ص ٥٥٧،
وابن ماجه في كتاب الزهد (باب: ذكر الحوض)، رقم ٤٣٠، ص ٦٢٨. والسدّ: جمع سدّة: أي: لا ينبع
لهم أبواب المسؤولين أو الأغنياء.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٣٩٣٨، مسنـد الإمام أحمد / ٣٦٤، والترمذى في كتاب الزهد
(باب: ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ) رقم ٢٣٩٨، ص ٥٤٠ - ٥٣٩.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

يُوَمْ مِن الصَّلَاةِ فَنَادَاهُ رَجُلٌ مِّنْهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَحْرَقْتُ التَّمَرَ بِطُونِنَا، وَخَرَقْتُ عَنِ الْخَنْفِ - وَالْخَنْفُ بِرُودِ شَبَهِ الْيَهَنِيَّةِ -، قَالَ: فَهَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكُمْ مِّنْهُ فَصَعْدَهُ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَشْتَرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمٍ فَقَالَ: «لَقَدْ مَكَثْتُ أَنَا وَصَاحِبِي بِضَعْفِ عَشْرِ لَيْلَةً مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا الْبَرِيرُ - وَالْبَرِيرُ ثَمَرُ الْأَرَاكِ -، قَالَ: فَقَدَمْنَا عَلَى إِخْوَانِنَا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَعُظُمُ - أَيُّ مَعْظَمٍ - طَعَامُهُمُ التَّمَرُ؛ فَوَاسُونَا فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَجِدُ لَكُمُ الْخَبْزَ وَاللَّحْمَ لَأَطْعَمْتُكُمْ، وَلَكُمْ تَذَكُّرُونَ زَمَانًا - أَوْ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ - تَلْبِسُونَ مِثْلَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَيُغَدِّي وَيَرَاحُ عَلَيْكُمْ بِالْجَفَانِ»^(٤).

وَلَمْ يَغْفَلْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ، فَقَدْ كَانَ إِذَا أُرْسِلَتْ لَهُ صِدْقَةٌ يَعْثَثُهَا إِلَى أَهْلِ الصَّفَةِ وَلَا يَأْكُلُ مِنْهَا شَيْئًا، كَمَا كَانَ إِذَا أَمْسَى دُعَا الصَّحَابَةَ أَنْ يَأْخُذَ كُلَّ رَجُلٍ بِقَدْرِ مَا يُسْتَطِعُ مِنْ أَهْلِ الصَّفَةِ لِيَعْشِيهِمْ: فَيَذْهَبُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِالرَّجُلِ وَالرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ وَبِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَ يَأْخُذُ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِّنْهُمْ يَعْشِيهِمْ. وَمَعَ مَا كَانَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ضِيقِ ذَاتِ الْيَدِ، فَكَانَ إِذَا أَهْدَيْتُ لَهُ هَدِيَّةً مِّنْ طَعَامِ دُعا أَهْلَ الصَّفَةِ إِلَى بَيْتِهِ فَيَأْكُلُونَ مَعَهُ، وَقَدْ أَكْلُوا عَنْهُ مَرَّةً مِّنَ الْمَرَاتِ الشَّرِيكَاتِ^(٥)

وَنَقْفَ هَنَا وَقْفَةً قَصِيرَةً لِتَنْتَظِرَ كَيْفَ كَانَ اهْتِمَامُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَهْلِ الصَّفَةِ؟ (جاءَهُ مَرَّةً سَبْعِيَّ، فَسَأَلَتْهُ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خَادِمًا؛ لَأَنَّهَا تَعْبَتُ مِنْ كَثْرَةِ أَعْمَالِهِ وَكَلَّتْ، فَأَجَابَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا أَخْدُمُكُمْ وَأَدْعُ أَهْلَ الصَّفَةِ تَطْوِي»^(٦)، وَأَوْضَحَ لَهُ أَهْلُ سَبِيعِ السَّبِيلِ وَيَنْفَقُهُ عَلَى أَهْلِ الصَّفَةِ. وَيَبْدُو أَنَّهَا سَأَلَتْهُ أَنْ يَعْطِيهَا مَالًا، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ زَارَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَوُجِدَ أَنَّ فَرَاشَهَا قَصِيرٌ لَا يَغْطِيهِ؛ فَعَلِمَهَا كَلِمَاتٍ فِي الدُّعَاءِ، وَأَتَرَ إِعْطَاءَ أَهْلِ الصَّفَةِ عَلَيْهِمَا وَقَالَ: «لَا أَعْطِيَكُمْ وَأَدْعُ أَهْلَ الصَّفَةِ تَلْوِي بِطُونَهُمْ مِنَ الْجَوَعِ»^(٧).

وَيَقْفَ الإِنْسَانُ مَعْجِبًا أَمَامَ حَقْوَنِ الْأُخْرَاةِ الَّتِي رَعَاهَا أَهْلُ الصَّفَةِ حَقَّ رِعَايَتِهَا: فَمَا كَانَ وَاحِدٌ مِّنْهُمْ عَنِّهِ شَيْءٌ مِّنِ الشَّرِاهَةِ، فَيُغَالِبُ إِخْوَتَهُ عَلَى الطَّعَامِ، بَلْ كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَكْلَ تَمَرَّتِينَ مَعًا أَخْبَرَ

(٤) حَلِيلَةُ الْأُولَيَاءِ لِأَبِي نُعَيْمٍ ٤٥٩ / ١.

(٥) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِرَقْمٍ ٣٤ / ٢٠٥٩٦.

(٦) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِرَقْمٍ ٥٩٦، الْمُسْنَدُ ٢ / ٣٤.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

إخوته وهم على الطعام بذلك فقال: [إني قرنت فاقرناوا]؛ لئلا يأكل من التمر أكثر مما يأكل إخوته!. ولقد أصاب أهل الصفة من الجوع ما الله عالم به، حتى قال عريفهم (أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): (لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله ﷺ وحجرة عائشة، فيقال: مجنون! وما بي من جنون، وما بي إلا الجوع ... والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد على الأرض بكبدي من الجوع، وأشد الحجر على بطني) ^(١).

وقد بلغ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به الجوع يوماً مبلغه؛ فخرج ووقف في الطريق؛ لعل أحداً من المسلمين يدعوه إلى طعام ليأكل، فمرّ أبو بكر فسألة عن آية فأجابه ولم يفطن لما به من جوع، ثم جاء عمر فسألة عن آية فأجابه ولم يفطن لما يريد أيضاً، ثم مرّ به النبي ﷺ، فتبسم حين رأه، ودعاه إلى بيته، ولم يكن عنده سوى قدح من لبن أهدى إليه؛ فأعطاه لأبي هريرة؛ فشرب حتى ارتوى ^(٢).

ملابسهم

وحدث ما شئت أن تحدث عن ملابس أهل الصفة، إن ملابسهم لا يصلح أن تُسمى ملابس؛ لأنّها لا تسترهم سرّاً كاملاً أولاً، ولا تقيمهم البرد ثانياً: فمنهم من لا يبلغ كساوره تغطية نصف الساقين، وأحياناً لا يبلغ الركبتين؛ لذلك كانوا يخجلون من الظهور أمام الناس بتلك الملابس التي لا تستر سرّاً كاملاً.

لقد كان هذا -وغيره كثير- في ابتداء الهجرة، وقد تحسنت أحوال المسلمين الاقتصادية بعد ذلك، فكان يصل إلى أهل الصفة ما يكفيهم.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١٣/٤٣-٤٤، بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، وزيادة في إيضاح ما لا قاده أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رُباعي صحيح البخاري أحاديث ٥٣٧٥، ٦٢٤٦، ٦٤٥٢.

(٢) ينظر الحديث بطوله في صحيح البخاري في كتاب الرقاق (باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه) رقم ٦٤٥٢، ص ١١٢٠.

خاتمة

رضي الله عن أهل الصفة! فقد جمعوا بين
الجهاد في سبيل الله، والتحمل من شظف العيش وقسote من أجل نشر هذا الدين.
إن واجباً حتى على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بأولئك العظماء من صحابة
النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، فنحبهم من صميم قلوبنا ولا نذكرهم إلا بخير..!



المحتوى

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٢٠ - ١٢	منزلة الصحابة في القرآن والسنة
٣١ - ٢١	الصحابة في القرآن-الصحابة في السنة-من أقوال الصحابة في الصحابة.
٢١	في صحبة النبي الكريم
٤٠ - ٣٦	حب الصحابة للنبي ﷺ - بين الولد المؤمن ووالده المنافق-زيد بن الدثنة-استجابة أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ - بين الولد المؤمن ووالده المنافق.
٣٢	الصحابة للنبي ﷺ - حول محبة المسلم للصحابية-حكم من سب الصحابة.
٣٦ - ٣٢	من روائع القصص في تضحيات الصحابة
.....	السلمون المستضعفون في مكة
.....	صور من تعذيب بلال رضي الله عنه - صور من تعذيب خباب رضي الله عنه - صور من تعذيب آل ياسر رضي الله عنهن - صور من تعذيب أبي فكيهه-صحابي آخر في العذاب.
.....	مع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم
١ - ٣٧	أبو بكر الصديق رضي الله عنه - عمر بن الخطاب رضي الله عنه - عثمان بن عفان رضي الله عنه - علي بن طالب رضي الله عنه
.....	نماذج من جهاد الصحابة رضي الله عنهم
.....	الزبير بن العوام-طلحة بن عبد الله-مصعب بن عمر-النعمان بن مقرن=أسيد بن حمزة
.....	مع جماعة من الأنصار-سعد بن أبي ثابت-أنس بن الخطاب الأنصاري-عمر الجحوم-أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله الاراشي الألبي-خبيب بن عدي-أم عمارة.

خاتمة

رضي الله عن أهل الصُّفَةِ! فقد جمعوا بين

الجهاد في سبيل الله، والتحمل من شظف العيش وقسوطه من أجل نشر هذا الدين.

إنَّ واجباً حتَّى على كل مسلم يؤمِّن بالله واليوم الآخر أن يفخر بأولئك العظماء من صحابة

النبي ﷺ الذين رضي الله عنهم ورضا عنهم، فنحبهم من صميم قلوبنا ولا نذكرهم إلا بخير..!

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

المحتوى

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٢٠ - ١٢	منزلة الصحابة في القرآن والسنة
	الصحابة في القرآن-الصحابة في السنة-من أقوال الصحابة في الصحابة.
٣١-٢١	في صحبة النبي الكريم
٢١	حب الصحابة للنبي ﷺ
	أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ-بين الولد المؤمن والده المنافق-زيد بن الدثنة-استجابة
	الصحابة للنبي ﷺ-حول محبة المسلم للصحاباة-حكم من سب الصحابة.
٣٢	من روائع القصص في تضحيات الصحابة
٣٦-٣٢	المسلمون المستضعفون في مكة
	صور من تعذيب بلال رضي الله عنه-صور من تعذيب خباب رضي الله عنه-صور من تعذيب آل ياسر
	رضي الله عنه-صور من تعذيب أبي فكيهه-صحابة آخرون في العذاب.
٤٩-٣٧	مع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم
	أبو بكر الصديق رضي الله عنه-عمر بن الخطاب رضي الله عنه-عثمان بن عفان رضي الله عنه-علي بن أبي
	طالب رضي الله عنه.
٦٠-٥٩	نماذج من جهاد الصحابة رضي الله عنهم
	الزبير بن العوام-طلحة بن عبيد الله-مصعب بن عمير-النعمان بن مقرن-أسيد بن حضير
	مع جماعة من الأنصار-سعد بن أبي ثابت-أنس بن النضر-عمر بن الخطاب الأنصاري-عمرو بن
	الجموح-أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله الراشدي الأنفي-خبيب بن عدي-أم عماره.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

٢٣. صرخة المنابر
٢٤. كلمات من القلب
٢٥. قضايا المرأة المسلمة في مواجهة التحديات
٢٦. الجهاد في التصور الإسلامي
٢٧. العمل والعهال في الفكر الإسلامي
٢٨. روائع إسلامية
٢٩. روائع وطرائف
٣٠. باقات الورود النبرة من حكايات المسلمين العطرة
٣١. قطوف دانية من مآثر المسلمين وظلام الغرب
٣٢. محاضرات إسلامية وابحاث ثقافية
٣٣. فقه الداعية
٣٤. المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري
٣٥. الذكر والدعاء في القرآن والسنة
٣٦. رقائق إيمانية في تزكية النفس وتقويم السلوك
٣٧. رسالة المسجد
٣٨. الإسلام في إفريقيا الوسطى
٣٩. الوسطية في التصور الإسلامي
٤٠. أخلاقنا أو الدمار
٤١. تحقيق كتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة للشيخ عدي بن مسافر الأموي بالاشتراك مع الشيخ محمد علي الياس العدواني
٤٢. تحقيق كتاب أصول الفقه الإسلامي للشيخ رشيد الخطيب الموصلي.
٤٣. من أعمال الصحابة.

